رسالة في

# أصول دين الإسلام

تأليف

أبي العباس أحمد بن الحسن بن عنان الكنكشي

(ت ١١٤٩هـ) رحمه الله

تحقيق

د. نبيل بن نصار السندي

دار الخزانة للنشر والتوزيع

محفوظة
جميع الحقوق

دار الخزانة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

هاتف دولة الكويت

0096555957103 - 0096590909211

هاتف المملكة العربية السعودية

٠٠٩٦٦٥٦٨٤٨٠٠١٩ _ ٠٠٩٦٦٥٦٢٠٠٠٧٣٣

dar.alkhezanah@gmail.com

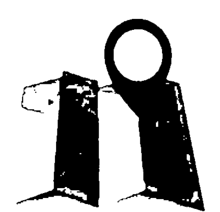
dar.alkhezanah

dar_alkhezanah

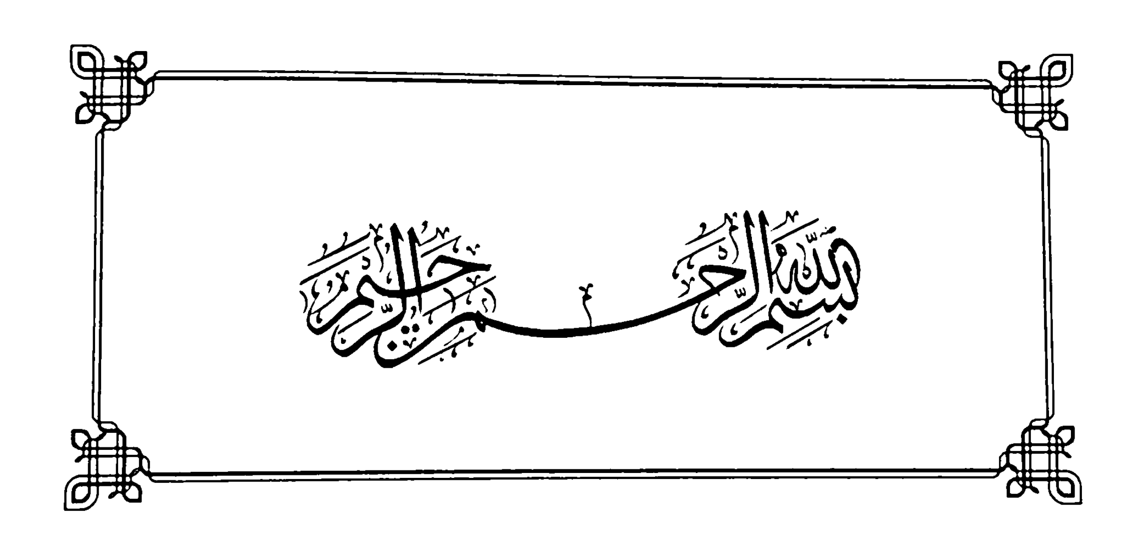
dar_alkhezanah

0096567606033



دولة الكويت - حولّي
شارع المثنى - مجمع البدري
وحدة رقم 5
هاتف: 0096567606033



بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يُحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصِّرُون بنور الله أهلَ العمىٰ، فكم من قتيلٍ لإبليسَ قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هَدَوه، فما أحسنَ أثرَهم علىٰ الناس، وأقبحَ أثرَ الناس عليهم؛ ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألويةَ البدعة، وأطلقوا عقالَ الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون علىٰ مفارقة الكتاب، يقولون علىٰ الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يُشبِّهُون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين[١].

أما بعد، فنقدم بين يدي القرّاء رسالةً في «السنة» ـ أي في اعتقاد أهل الحديث والأثر ـ لعالمٍ من القرن الخامس لا يكاد يعرفه اليوم أحدٌ بيد أنه كان من كبار مشايخ الطريق بالدِّينَوَر في زمانه، ذكر فيها كُبريات المسائل التي اشتهر فيها النزاع مع أهل الأهواء والبدع بمختلف طوائفهم، من إثبات الصفات الإلهية، وأن القرآن غير مخلوق، وإثبات القدر، ومنزلة العمل من الإيمان، وإثبات الرؤية، وفضل الصحابة، وإثبات عذاب القبر، وطاعة ولاة الأمر، وغيرها.

---

(١) نص مقدمة «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (١٧٠-١٧٤) تحقيق دغش العجمي.

إخراج هذا السِّفْر له أهمّيته في إبراز شخصية المؤلف الذي لم يُعثَر بعدُ علىٰ شيءٍ من مؤلفاته، كما له أهمِّيته في تأريخ التأليف في «السنة» وتقرير مسائلها تأثرًا وتأثيرًا. ومما يُكسب هذا السفر أهمّيةً ما أودعه المؤلف من النصوص التي لم تصلنا في شيء من الكتب المطبوعة، ولا سيما ما نقله من سؤالات أصحاب الإمام أحمد عنه في مسألة القرآن.

وقد ضمَّن كثيرًا من المسائل الردَّ علىٰ أهل البدع وشبهاتهم، كما اعتنىٰ بذكر التفصيل في بعض الكلمات المجملة التي لا يصحُّ فيها إطلاق النفي أو الإثبات، ممَّا اشتهر القول بالتفصيل فيها عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو مسبوق فيها بالمؤلف وغيره من أئمة السنة ونُظَّارها.

وقد قدمت بين يدي الكتاب فصولًا تعرِّف به وبمؤلفه، علىٰ النحو الآتي:

- التعريف بالمؤلف
- اسم الكتاب ونسبته
- بناء الكتاب ومنهجه
- مصادر المؤلف وموارده
- ما له وما عليه
- وصف النسخة الخطية
- منهج التحقيق

هذا، ولا يفوتني أن أشكر أخي الحبيب **علي بن سعيد بن سيف السَّعدي** -وفقه الله-، فإنه أول من أطلعني علىٰ المخطوط حين بدأ المعتنين بالتراث يتداولونه علىٰ الشبكة العنكبوتية في منتصف عام ١٤٤٠.

والشكر موصول أيضًا لأخي الصديق **سراج منير** علىٰ صفِّه للكتاب وتنسيقه الأوَّلي ومقابلة نسخته الخطيّة معي ومراجعة تحقيقي وتعليقي عليه، وللأستاذ الصفِّيف **عبد الحفيظ بن حسن النَّهاري** علىٰ تنسيقه النهائي، فجزاهما الله عني خيرًا.

وكتب:

نبيل بن نصار بن عبد الوهاب السندي

بمكة المكرمة غرةَ شهر رمضان سنة ١٤٤٣

abu_ishaaq_salafi@hotmail.com

## التعريف بالمؤلف

ليس له كبير ذكرٍ في كتب التراجم والطبقات سوىٰ ما ذكره أبو طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦) في مواضع من «معجم السفر» عن ابنه سعيد ـ وكان من شيوخ السِّلَفي ـ وما زبره الذهبي في «تاريخ الإسلام»[١] معتمدًا في أكثر ذلك علىٰ السلفي.

وفيما يلي محاولة بناء ترجمةٍ له من شتات ما نثره السِّلَفي في «معجمه»، وما أورده الذهبي في «تاريخه»، وبعض ما يمكن أن يُستقىٰ من كتابه هذا.

**اسمه ونسبه:**

* هو أبو العبَّاس أحمد بن الحسن بن عَنان الكَنْكَشيُّ الدِّينَوَريّ.

ينسب إلىٰ جدِّه فيقال له: ابن عنان أو أحمد بن عنان[٢].

* نعته أبو طاهر السِّلَفي بـ«المُعاذي»[٣] نسبةً إلىٰ معاذ بن جبل، وجرَّ نسبه إلىٰ «محمد بن معاذ بن جبل»[٤]، ولكن فيه نظر، فإن المعروف أن رهط معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انقرضوا، وكان آخر من بقي منهم عبد الرحمن بن معاذ، فمات بالشام في الطاعون ولم يُعْقِب[٥]. وأيضًا فلم أجد لمعاذ ابنًا اسمه محمد.

---

(١) (٩/ ٧٢١)، وكل ما سيأتي غير معزوٍّ فهو منه.

(٢) انظر: «معجم السفر» (ص١٣٠، ٣٤٢).

(٣) «معجم السفر» (ص١٠٤، ٤٥٧).

(٤) «معجم السفر» (ص١٠٥).

(٥) «الاستيعاب» (٢/ ٨٥٢، ٣/ ١٤٠٣).

* وأما نسبته «الكنكشي» فلم أهتدِ إلىٰ أي شيء هي.

* وأما «الدِّينوري» فنسبةٌ إلىٰ «دِينَوَرَ» مدينةٍ قريبةٍ من مدينة قَرمِيسِينَ (كرمانشاه)، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخًا[١]. وهي اليوم خراب، وتقع في محافظة كرمانشاه في شمال غربيِّ إيران.

**مولده:**

ذكر السِّلفي نقلًا عن ابنه أنه عاش تسعين سنةً. وقضية ذلك أن يكون مولده سنة (٣٥٩) أو حوالَيها.

**شيوخه:**

* لم تذكر المصادر شيئًا عن شيوخه الذين تلَّقىٰ عليهم العلم، إلا أنهم ذكروا شيخه في الطريق، وهو أحمد بن سِياه الأسود الدِّينوري، فقد صحبه وأخذ منه المرَقَّعة. وأحمد هذا قد صحب عيسىٰ القصَّار، وعيسىٰ من كبار تلامذة ممشاذ الدِّينوريّ الزاهد (ت٢٩٩)[٢].

ولم أجد ترجمةً لأحمد هذا، ولكن نقل ابنُ المؤلف أنه عاش مائة سنة[٣]. وقد أُثرت عنه أقوال حسنة، منها قوله: «إذا رأيتَ من يتتبَّع عيبَ أخيه فتتبَّعْ أنت عيب نفسك، وإذا رأيتَ من يشتغل بعمارة الدنيا فاشتغل أنت

(١) انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٥٤٥، ٤/ ٣٣٠).

(٢) له ترجمة في «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٢٤٢) و«تاريخ الإسلام» (٦/ ١٠٥٨).

(٣) «معجم السفر» (ص١٠٥).

بعمارة العقبىٰ، وإذا رأيتَ من يشرع في عمارة داره فاشرع أنت في عمارة قبرك فهو دارك، وإذا رأيت من يُكثر أكل ما فيه شُبهة فأقلَّ أنت مِن أكل ما هو حلال؛ ففي هذه الخِلال نجاتك»(١).

وقال أيضًا: «السُّكون إلىٰ الكرامات مكرٌ وخدعة».

*ومن شيوخه في الرواية: «أبو الحسن محمد الخطيب» فقد ذكره في كتابه هذا (ص٤٠). ولم أهتدِ إلىٰ معرفته، إلا أن يكون ثَمَّ تصحيف في الاسم.

**مكانته في العلم والعمل:**

*وصفه الذهبي بأنه كان من كبار مشايخ الطّريق بالدِّينَوَر.

* قال السِّلفي: ووقفتُ علىٰ شيءٍ من كلامه فوجدته في غاية الحسن، وكان غزير الفضل متفننًا عالمًا عارفًا عابدًا...لم يكن له نظيرٌ بتلك الناحية، وله تَبَع وأصحاب ومريدون، وهو حسن الطريقة(٢).

* ومن كلامه: حقيقة الأُنس بالله الوحشة مما سواه.

وقال: عمل السّر سَرْمَدٌ، وعمل الجوارح منقطع.

وقال: من عرف قدر ما يبذله لم يستحِقَّ اسم السخاء.

---

(١) «معجم السفر» (ص٤٥٧).

(٢) «معجم السفر» (ص١٠٥). وقد نقله الذهبي وزاد: «وبحكمه رُبُط كثيرة»، فلا أدري أمن تتمة كلام السلفي سقط من مطبوعة «معجمه» أم من كلام الذهبي.

مذهبه:

كان سُفيانيَّ المذهب، أي: علىٰ مذهب الإمام الفقيه الأجلّ سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١). وليس ذا بغريب، فقد كان لمذهب الثوري ظهور ورواج في تلك النواحي آنذاك. فهذا الحافظ الفقيه مكّي بن جابار الدينوري (ت٤٦٨)، والمحدث الزاهد عبد الرحمن بن حَمْد بن الحسن الدُّوني- نسبةً إلىٰ قرية الدُّون علىٰ قربٍ من دينور - (ت٥٠١)، كلاهما سفياني[1].

ومن قبلُ: الفقيه أبو بكر عبد الغفّار بن عبد الرحمن الدِّينوري نزيل بغداد (ت٤٠٥)، كان آخر من أفتىٰ علىٰ مذهب سفيان بمدينة السلام[2].

ومن الآخذين عن المؤلف في السلوك: الشيخ المقرئ كمار بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن جعفر البزّاز، الواعظ في جامع الدِّينَوَر، أخذ المرقَّعة من المؤلف، كان علىٰ مذهب الثوري أيضًا[3].

ثم وجدت ابن السمعاني (ت٥٦٢) نصَّ علىٰ ما بدا لي عن أهل الدِّينور، فقال في «الأنساب»[4]: «السُّفياني: هذه النسبة لجماعةٍ علىٰ مذهب سُفيان الثوري، وهم عددٌ كثير لا يُحصَون، **وإلىٰ الساعة أهل الدينور أكثرهم علىٰ مذهبه**».

---

(١) انظر: «أعلام النبلاء» (١٨/ ٤١٢، ١٩/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «الوافي بالوفَيات» (١٩/ ١٦) و«البداية والنهاية» (١٥/ ٥٦٠).

(٣) انظر: «معجم السفر» (ص٣٤١، ٣٤٢).

(٤) (٧/ ١٤٨).

* من لطائف الموافقات: أن عددًا من كبار الزهَّاد وشيوخ الطريق المتقدمين كانوا علىٰ مذهب سفيان الثوري، من أمثال بِشر الحافي (ت٢٢٧)[١]، وحمدون القصَّار (ت٢٧١)[٢]، وشيخ الطائفة الجنيد البغدادي (ت٢٩٧)[٣].

ومن بعدهم: الإمام الزاهد محمد بن عيسىٰ بن عَمْرويه الجُلودي (ت٣٦٨)، راوي «صحيح مسلم» عن ابن سفيان عن الإمام مسلم. نعته الحاكم بأنه كان من كبار عبَّاد الصوفية[٤].

**مؤلفاته:**

نقل السِّلفي عن ابنه سعيد أن لأبيه ستين مصنَّفًا[٥].

ولم أجد شيئًا عن أسماء هذه المؤلفات أو محتوياتها، إلا أن السلفي قد وقف علىٰ بعضها فوجد كلامه في غاية الحسن.

وسيأتي الكلام علىٰ رسالته هذه في أصول السنة في فصول مفردة.

**تلاميذه:**

الذي يظهر من ترجمته أنه لم يبذل نفسه للرواية أو التدريس، وإنما كان

---

(١) انظر: «العبر في خبر من غبر» (١/ ٣١٣) و«شذرات الذهب» (٣/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) انظر: «أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٠) و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٤١).

(٣) هذا علىٰ قول، وقيل: إنه كان علىٰ مذهب أبي ثور لأنه تفقَّه عليه. انظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٣) و«البداية والنهاية» (١٤/ ٧٦٨).

(٤) انظر: «أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٠١) و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٢٩٤).

(٥) انظر: «معجم السفر» (ص١٠٥).

له «أصحاب ومريدون»[1] في السلوك والطريق. فمن هؤلاء:

* ولده سعيد بن أحمد: روىٰ عن أبيه جزءًا فيه حكايات. وُلد سنة (٤٤١)، وهو من شيوخ السِّلفي، ترجم له في «معجم السفر»[2].

* طاهر بن محمد بن يحيىٰ الحداد الهَمَذاني[3]: أخذ الخرقة عن بنجير ابن منصور الهَمَذاني (ت٤٩٠)[4]، وطاف البلاد ورأىٰ شيوخها، منهم المؤلف بالدينور، وسمع الحديث علىٰ الحافظ عبد الرحمن بن منده (ت٤٧٠) بأصبهان.

* كمار بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن جعفر البزَّاز[5]: المولود سنة (٤٣٥)، أخذ المرقَّعة من المؤلف كما سبق ذكره.

* يوسف بن أحمد بن زكريا الكُمامي الدِّينوري[6]: ولد سنة (٤١٣)، اقتدىٰ بالمؤلف في السلوك وأخذ عنه الخرقة. روىٰ عن المؤلف عن أحمد ابن سِياه الأسود الدِّينوري قولَه: «إذا رأيت من يتتبع عيب أخيه...» إلخ، وقد تقدَّم.

---

(١) «معجم السفر» (ص١٠٥).

(٢) «معجم السفر» (ص١٠٥).

(٣) ترجمته في «معجم السفر» (ص١٣٠).

(٤) له ترجمة في «تاريخ الإسلام» (١٠/٦٤٨).

(٥) ترجمته في «معجم السفر» (ص٣٤١).

(٦) ترجمته في «معجم السفر» (ص٤٥٧).

**وفاته:**

توفي سنة (٤٤٩) عن عمر بلغ التسعين، ودفن بـ«التل» في الدينَوَر حيث أجداث سلسلة شيوخه الدِّينوريين: أحمد بن سِياه الأسود، وعيسىٰ القصَّار، وممشاذ الدِّينوريّ رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم[1].

○○○

---

(١) انظر: «معجم السفر» (ص٣٤٢).

## اسم الكتاب ونسبته

### اسم الكتاب:

لم أجد له اسمًا يكون علمًا عليه، ولا صرَّحَ المؤلف في مقدمته باسمه. وأما المزبور علىٰ صفحة الغلاف: «**كتاب فيه أصول دين الإسلام، ومنهاج الحق والإيمان، وسبيل الهدىٰ، ومصباح أهل السنة والجماعة، والحجة البالغة علىٰ أهل البدعة والضلالة، وذلك دين نبينا محمد ﷺ ودين الأنبياء من قبله صلىٰ الله عليهم أجمعين**» = فهو أشبه بوصفِ محتواه منه باسمه.

وفي خاتمته: «تم **الاعتقاد** بحمد الله ومَنِّه»، وهذا يحتمل أن يكون من كلام المؤلف، ولعل الأظهر أنه لفظ الناسخ.

وعليه، فلا ضير في تسميته: «رسالة في أصول دين الإسلام». ولو قيل: «رسالة في أصول السنة» أو «اعتقاد الكنكشي» أو نحوهما لكان له وجه أيضًا.

### نسبته:

أما نسبته للكنكشي فهي قضية المدوَّن علىٰ غلاف النسخة الخطية: «تأليف الشيخ السديد الإمام أبي العباس أحمد بن الحسن بن عنان الكنكشي، زاد الله في كرامته ورضي عنه وعن جميع المسلمين».

وليس ثَمَّ ما يدفع هذه النسبة، بل في الكتاب ما قد يؤيد هذه النسبة، إذ في مضمونه ومحتواه إشارات وقرائن تدل علىٰ أن مؤلفه من أهل السلوك والتصوُّف، وأنه من القرن الخامس، وأنه كان علىٰ مذهب الثوري رحمه الله.

❊ **أما كونه من أهل السلوك والتصوف، فمن القرائن عليه:**

- ذكره لأقوال أئمة السلوك كالجنيد (ص١٠، ٦١، ١٠١)، وسهل بن عبد الله التُّستَري (ص٢٠، ٤١، ٤٥، ٥٥، ٥٠، ٦٩)، وأبي عبد الله المكي الزاهد (ص٨).

- ذكره لأحاديث وآثار بألفاظٍ لا توجد غالبًا إلا عند المؤلفين من الصوفية. منها قصة التحيات ليلة الإسراء (ص١٢٥-١٣٣)، وأثرٌ منسوبٌ إلىٰ عليٍّ في القدر (ص٥١) وسيأتي مزيد كلام عليه.

❊ **وأما كونه من القرن الخامس، فقد يشير إلىٰ ذلك أمور:**

- أن المطَّلع علىٰ كتب السنة والاعتقاد إذا قرأ هذا الكتاب وجد أن المباحث التي تناولها المؤلف، ومقالات الفِرَق التي نقضها، وأسلوبه في ذلك= له شبه كبير بكتب السنة من القرن الرابع والخامس، كالسنة للبربهاري، والإبانتين الصغرىٰ والكبرىٰ لابن بطَّة، وذم الكلام للهروي، وغيرها[1].

- أن المؤلف نقل أقوال سهل التُّستَري (ت٢٨٣) والجنيد (ت٢٨٩) في كتابه، مما يعني أنه متأخر عنهما، ولكن ليس بزمن طويل، لأنه كان لا زال في عصر الرواية والنظر في الأسانيد، حيث أسند حديثًا فقال (ص٤٠): «**حدثنا** أبو الحسن محمد الخطيب **بإسناده صحيحًا** رفعه إلىٰ أبي هريرة». ولم أهتدِ إلىٰ معرفة شيخه في الرواية، إلا أن يكون ثَمَّ تصحيف أو سقط في الاسم

(١) وقد نقل من بعض هذه الكتب كما سيأتي في موارده.

(راجع التعليق عليه).

- قول المؤلف (ص١٤٢): «وسئل الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن عبد الله الابشيوي رحمه الله عن قول الشيخ أبي عبد الله ابن بابيك رحمه الله في (كتاب المتصرف): إن الله يرىٰ الأشياء موجودًا ويعلمها معدومًا...»= قد يوحي بقرب عهده لهما، فإنه لم يصف أحدًا في كتابه بـ«الشيخ» سواهما، لا الجنيد ولا غيره؛ علىٰ عادة كثير من المؤلفين قديمًا وحديثًا أنهم إذا ذكروا شيوخهم أو من عاصروهم قرنوا اسمه بـ«الشيخ» بخلاف ما إذا ذكروا الأئمة الماضين. وأبو عبد الله ابن بابيك هذا إن كان هو المذكور في كتب الأنساب وغيرها بـ«ابن بانيك/ باينك»، فالظاهر أنه كان عايشًا في نهاية القرن الرابع (انظر التعليق علىٰ اسمه في الصفحة المذكورة).

- ذكر المؤلف (ص٩٠) حديث: «**لو كان لنا ثالثةٌ لزوَّجناكها يا عثمان**». وقد روي في كتب الحديث - علىٰ وهن إسناده - بلفظ الغيبة: «**لزوَّجتُه / لأنكحتُه**». وأما اللفظ الذي أورده به المؤلف، فالذي يبدو - والله أعلم - أنه ظهرَ وشاع في عصر المؤلف، أي: في القرنين الرابع والخامس، فقد ذكره ابن منده (ت**٣٩٥**) في «معرفة الصحابة» (ص٩٣٠)، والباقلاني (ت**٤٠٣**) في «تمهيد الأوائل» (ص٥٠٦)، والثعالبي (ت**٤٢٩**) في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» (ص٢٨٧)، وأبو نعيم (ت**٤٣٠**) في «معرفة الصحابة» (٧٣٥٤)، والماوردي (ت**٤٥٠**) في «الحاوي الكبير» (٩/ ٢١)؛ كلهم دون أن يُسندوه.

- ذكر المؤلف (ص٥١) أثرًا طويلًا منسوبًا إلىٰ علي بن أبي طالب في مسألة القدر وأنه سرٌّ من سر الله، وستر من ستر الله، وحِرز من حرز الله... إلخ، وعلامات الوضع لائحة عليه من سبكه الركيك الذي هو أشبه بإشارات الصوفية منه إلىٰ كلام الرعيل الأول. ولم أجده عند أحدٍ سواه، إلا عند أبي حيان في «البصائر والذخائر» (٥/ ١٨٩)، وهو عصريُّ المؤلف، توفي في حدود الأربعمائة. ولا أستبعد أن يكون هو واضعه، وقد اعترف بوضع رسالة أبي بكر وعمر إلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)] ليردَّ بها علىٰ الرافضة، فيكون وضع هذا ليردَّ به علىٰ القدرية.

- عقد المؤلف بابًا في بيان أن الروح مخلوقة وليست قديمة (ص٩٧). وهذه المسألة لم تُذكر في كتب السنة الأولىٰ، لأنها لم تكن موضع خلاف مع الجهمية والقدرية والمعتزلة وبابتهم. ومن أوائل من أفرد الكلام عليها أبو عبد الله بن منده (ت٣٩٥) في «كتاب النفس والروح» حيث قال في مقدمته: «أما بعد، فإنَّ سائلًا سألني عن الروح التي جعلها الله سبحانه قِوامَ أنفُسِ الخلق وأبدانهم، وذكَر أنَّ أقوامًا تكلَّموا في الروح، وزعموا أنها غير مخلوقة، وخصَّ بعضهم منها أرواحَ القدس، وأنها من ذات الله»[(٢)]. ويبدو أن القول بقدم الروح استفحل وانتشر في القرن الخامس، حتىٰ صار من القائلين به بعض المنتسبين إلىٰ الحديث والأثر، أعني الحافظ أحمد بن ثابت الطَّرْقي (ت٥٢١)[(٣)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) نقله عنه ابن القيم في «كتاب الروح» (٢/ ٤٢٠-٤٢١).

(٣) انظر: «الأنساب» لابن السمعاني (٩/ ٧٠) و«تاريخ الإسلام» (١١/ ٣٦٥).

* **وأما كونه سفيانيَّ المذهب،** فلا توجد قرينة قويّة مثل ما للأمرين السابقين، ولكن قد يشير إليه إيراده قولَ سفيان الثوري: «المؤمن يأخذ الدين من ربِّه ونبيِّه، والمنافق يأخذه من رأيه وقياسه» في أول الكتاب (ص٨) قبلَ غيره من الأئمة الفقهاء كمالك وأحمد.

○○○

## بناء الكتاب ومنهجه

بدأ المؤلف رحمه الله تعالىٰ كتابه بذكر أول واجبٍ علىٰ العباد وهو الإيمان بالله تعالىٰ، ثم ذكر أن الله تعالىٰ فوق العرش، وذكر أحاديث الصفات وأنه يجب إمرارها كما جاءت بلا كيف، ودعم ذلك بأقوال أئمة السلف. أتبع ذلك بالتحذير من البدع والأهواء. وختم ذلك بقوله: «**فهذه براءة من قول الملاحدة والزنادقة وما يتشعَّب من مذاهبهم وأقاويلهم**». وهذا الباب ـ وإن لم يُعَنْوِن له المؤلف ـ يمكن أن نسميه: «باب أسماء الله تعالىٰ وصفاته».

ثم أخذ في ترتيب الكلام علىٰ أبواب، فبوَّب للإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، والقَدَر، ومسألة الإيمان والاستثناء فيه، والرؤية، وفضائل الصحابة عمومًا، والخلفاء الأربعة واحدًا واحدًا، ومسألة الروح وأنها مخلوقة، وإثبات عذاب القبر وفتنته، والبعث بعد الموت، وأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنَيان، وخروج أهل التوحيد من النار، والإسراء والمعراج، ومسألة أفعال العباد، والإيمان باللوح المحفوظ.

يذكر المؤلف في كل باب المعتقد الصحيح في المسألة، ثم يذكر الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف. ثم يُتبع ذلك بالرد علىٰ الخصوم، وقد يُورد حُجَجهم بقوله: «فإن احتج محتج / فإن خالف مخالف» ويجيب عنها.

وقد يختم بعض الأبواب ـ وهي أبواب «القدر» و«الإيمان» و«الرؤية» ـ بقوله: «**فهذه براءة من قول (القدرية/ المرجئة/ المعتزلة والمبتدعة الضالة)**

**وما يتشعَّب من مذاهبهم وأقاويلهم»**.

وثَمَّ مسائل أخرىٰ كمسألة احتياج القرآن إلىٰ السنة، والانقياد والطاعة للأمراء والسلاطين، والإمساك والكف عن الخوض في الفتنة، وعدم تصديق المنجمين والكهنة، وأن حبَّ العرب إيمان وبغضَهم نفاق، وعدم جواز الصلاة خلف المبتدعة، والإيمان بخروج الدابَّة والدجال، وغيرها= لم يعقد لها المؤلف أبوابًا علىٰ حدة، بل أوردها مذيَّلةً تحت البابين الأخيرين: «باب الأفعال» و«باب في اللوح المحفوظ».

○○○

## مصادر المؤلف وموارده

النظر في مصادر المؤلف وموارده من الأهمية بمكان، لما له من الفوائد الكثيرة من تصحيح النص - لا سيما إذا كان الإخراج عن نسخة فريدة - ومعرفةِ ثقافة المؤلف واطلاعه، ومعرفة انتشار تلك المصادر في عصر المؤلف وقبولها، واستنقاذ نصوص من مصادرَ لم تصلنا بتمامها، إلىٰ غير ذلك.

وفيما يلي أهم موارد المؤلف في كتابه:

* كتب الحديث والرواية:

استشهد المؤلف بزهاء تسعين حديثًا مرفوعًا، بعضها من المشهور المستفيضِ روايتُه في أمَّات كتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد، وبعضها من الغريب الحُوشي والواهي المستنكر الذي لا يكاد يوجد إلا في الواحد بعد الواحد من كتب الرواية من أمثال «أمثال الحديث» لأبي الشيخ و«ذم الكلام» للهروي و«حلية الأولياء» لأبي نُعيم و«الصفات» للبيهقي و«تاريخ ابن عساكر» وبابتها، وبعضها لم أهتدِ إلىٰ مخارجها.

وقضية هذا أن المؤلف كانت مصادره الحديثية كثيرة متنوّعة. وعلاوة علىٰ ذلك، فقد اتّصلت له رواية الحديث بإسناده، حيث قال (ص٤٠): «حدثنا أبو الحسن محمد الخطيب بإسناده صحيحًا رفعه إلىٰ أبي هريرة...».

* كتب السنة:

المراد بـ«كتب السنة» كتب الاعتقاد علىٰ طريقة أهل الحديث والأثر.

وبالمقارنة تبيَّن ـ ظنًّا غالبًا ـ أن المؤلف استقىٰ من بعض هذه الكتب:

- «شرح السنة» للبربهاري. انظر: (ص٩، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨).

- «السنة» لحرب الكرماني. انظر: (ص١٣٨، ١٤١، ١٤٩، ١٥٠).

- «اعتقاد الإمام أحمد» لأبي الفضل التميمي (ص١٣٤)[1].

ومن المصادر المُحتملة: «الإبانة الكبرىٰ» للعُكبري لِما يوجد من بعض التشابه في الكلام وترتيب الحجج. انظر: (ص٢١، ٤٧، ٦٧-٦٨).

وقد نقل المؤلف ثلاثة نصوص عن أحمد في مسألة القرآن (ص٣٢-٣٣)، ولم أجدها في شيء من المصادر، ولعلها كانت فيما لم يصلنا من «السنة» للخلال.

كما نقل المؤلف آثارًا عن السلف مما لم يُروَ غالبًا إلا في كتب السنة المسندة ـ «السنة» للخلال و«الشريعة» و«الإبانة الكبرىٰ» و«ذم الكلام» وبابتها ـ كبعض آثار الأنبياء في القدر (ص٥٢) وكأثر علي وابن مسعود: «لا

---

(١) هنا تنبيهان:

١. ما في هذا الكتاب ليس كلُّه يصحُّ عن الإمام أحمد، بل هو حسب ما فهمه المؤلف من اعتقاد أحمد، فلم يذكر فيه ألفاظه، وإنما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٦٧).

٢. طبع الكتاب باسم «العقيدة للإمام أحمد برواية أبي بكر الخلّال» عن دار قتيبة بدمشق بتحقيق عبد العزيز السيروان، وهذه النسبة إلىٰ الخلّال خطأ.

ينفع القول إلا بالعمل...» (ص٥٥)، وقول سفيان الثوري: «الناس عندنا مؤمنون في التوارث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله» (ص٦٨)، وأثر ابن مسعود فيمن قال: نحن مؤمنون (ص٧٠)، وأثر الزهري (ص١٥٨): «تعليم السنة أفضل من عبادة مائتي سنة»، وغيرها كثير.

* كتب السلوك والتصوّف:

نقل المؤلف أقوال مشايخ الطريق مثل شيخ الطائفة الجنيد (ص١٠، ٦١، ١٠١)، وسهل بن عبد الله التُّستَري (ص٢٠، ٤١، ٤٥، ٥٥، ٥٠، ٦٩) وأبي عبد الله المكي الزاهد (ص٨)، فيكون ولا بدَّ قد نقلها من كتب القوم، كبعض مؤلفات أبي عبد الرحمن السُّلَمي أو غيره.

○○○

## ما له وما عليه

### من أهمية الكتاب وميزاته:

* أنه حفظ لنا بعض النقول عن الإمام أحمد التي لا توجد في سواه، ولعلها كانت في الجزء المفقود من «السنة» للخلال. انظر: (ص٣٢-٣٣).

* ما حواه من تفصيل في مسائل مشتبهة وألفاظ مجملة اختلف فيها آراء الناس وضلَّ فيها كثير من الطوائف، كالفَرْق بين مشيئة الله للطاعة ومشيئته للمعصية (ص٤٦، ١٣٤)، والأمر والإرادة (ص١٤٠)، والتفصيل في الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ (ص٥٩-٦١)، وفي مقرِّ الأرواح إذا فارقت الجسد (ص١٠٢)، وفي الصلاة خلف المبتدعة (ص١٣٨).

* ما فيه من بديع الانتزاع من النصوص علىٰ تقرير بعض أمهات المسائل. انظر: (ص٢٢).

* ما فيه من لطائف الاستنباط والاستقراء، كذكره أن أبا بكر الصديق كان ثانيَ رسول الله ﷺ في اثني عشر موضعًا (ص٧٩)، وأن السلطان يتابع في سبعةِ أشياء (ص١٣٧).

### أهم المؤاخذات علىٰ الكتاب:

* الاستشهاد بالأحاديث الواهية والموضوعة، لا سيما في مسألة خلق القرآن، وفضائل الخلفاء الأربعة. انظر: (ص١٨، ٢٤، ٣٤، ٤١، ٧٤، ٩٢، ٩٥، ١٢٧، ١٥٧)

* عدم تقيُّده في كثير من المواضع باللفظ المروي في كتب الحديث

والرواية، بحيث تكون عنده ألفاظ وزيادات لا توجد في شيء من المصادر. (انظر: ١٨، ٥٧-٥٨، ٧٤، ١٢٨، ١٤٩).

* عدم تحرير بعض المسائل، كقوله: «اللفظ مخلوق والنطق بالقرآن غير مخلوق» (ص٢٦)، وقوله: «كلام الله غير مخلوق، فإذا خرج من الفم وسمعه السامع فحينئذ سماع اللفظ غير مخلوق» (ص٢٦)، والاستدلال علىٰ خروج الموحدين من النار بقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ (ص١١٤).

* الانتصار للقول الضعيف المرجوح، وجعله من أصول السنة، كمسألة رؤية النبي ﷺ ربَّه ليلة الإسراء بعينيه (ص١٢٥-١٣٣)، وكالقول بأن حساب الكفار والمنافقين إلىٰ ميكائيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ (ص١٥٧).

○○○

## وصف النسخة الخطية

**مكانها:** هي محفوظة بـ«كتبخانة مجلس بلدية الإسكندرية»، كما في الختم الواقع علىٰ الورقة الرابعة عشرة منه.

ولم أهتدِ إلىٰ رقم حفظها بالمكتبة(١).

الكتاب يقع في ثلاثين ورقة، من (ق٧٤) إلىٰ (ق١٠٣) ضمن مجموع بخط ناسخ واحدٍ يضم أكثر من كتاب، ولم تقع لي صورة المجموع كاملةً، إلا أنه في (ق٧٣ب) ينتهي كتابٌ خاتمته: «والعروض باب حسن، والشعر ديوان العرب، ولا بدَّ للشعر من العروض، والنحوُ مال الأديب، لا يسمَّىٰ أديبًا حتىٰ يكون نحويًّا عروضيًّا شاعرًا. تمَّ (**كتاب التوحيد**) بحمد الله ومنِّه».

ولم أتبيَّن لمن «كتاب التوحيد» هذا، وما موضوعه.

وعقب كتاب الكنكشي في المجموع (ق١٠٣) يبدأ كتاب «**فهم القرآن مِن سوق العروس**»، و«سوق العروس» كتاب في القراءات لأبي مَعْشَر الطبري المُقرئ (ت٤٧٨)(٢)، فقد يكون هذا مجتزأً أو مختصرًا منه.

**ناسخها:** سعيد بن موسىٰ بن أحمد بن سعيد.

**تاريخ نسخها:** فرغ الناسخ يوم الاثنين في العشر الآخر من ذي الحجة سنة ٥٩٣، كما نصَّ عليه في قيد النسخ.

---

(١) وقد راجعت «فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية» و«فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية»، فلم أجد ذكرها في مظانّها.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن الصلاح (٢/ ٥٦٠) و«تاريخ الإسلام» (١٠/ ٤٢٤).

وذكر في قيد نسخ «كتاب التوحيد» أنه نسخه في العشر الأُول من ذي الحجة من السنة نفسها بـ«طزيان» من أعمال «ماردين» المحروسة[١].

**وصفها:** خطه نسخي واضح، إلا أن الناسخ لم يحرر بعض الكلمات، كما أنه وقع له شيء من التصحيف والسقط. ويوجد سهوٌ في الآيات، فلا أدري أمن المؤلف أم من الناسخ؟

ومن عادة الناسخ أنه ينحت الصلاة علىٰ النبي ﷺ إلىٰ «صلع»، و«عليه السلام» إلىٰ «علم»، مع أنه يكتب عبارات الترضِّي والترحُّم بتمامها.

ومن غريب ما في المخطوط وقوع عبارة: «وفي نسخة أخرىٰ: .... (ويذكر فرقًا)» في صلب النص، فلعل الناسخ وجد فروقًا في هامش الأصل الذي نسخ منه فأدرجها في النص. انظر: (ص٩، ١٩، ٤١، ٦٩، ٨٧).

وعلىٰ طرر الصفحات بعض عناوين بخط مغاير: «مطلب ....»، لا سيما في البابين الأخيرين لما اشتملا عليه من مسائل متنوعة.

○○○

(١) في «معجم البلدان» (٤/ ٣٥): «طُزيان بالضم: من قُرىٰ ديار بكر». وقرية «طِزيان» اليوم - بكسر الطاء - تقع بتركيا في محافظة ماردين، وهي أقرب إلىٰ مدينة مادرين منها إلىٰ دياربكر.

## منهج التحقيق

الكلام في منهج التحقيق أغلبه مكرور مُعاد في مقدمات التحقيق من قولهم: نسخت المخطوط بالرسم الإملائي، وعزوت الآيات...إلخ، فلا أعيده، وإنما أذكر ما هو ألصقُ بعملي في هذا الكتاب بخصوصه:

* رقمت لأوراق المخطوط في النص بين الحاصرتين من [ق١] إلىٰ [ق٣٠]، بدلًا من (ق٧٤-١٠٣) المرقوم علىٰ نفس المخطوط.

* بما أن الناسخ قد وقع في شيء من التصحيف والتحريف تجاسرتُ علىٰ تغيير بعض ما في الأصل إيثارًا لإقامة السياق إذا غلب علىٰ ظنِّي أنه تصحيف من الناسخ. أما ما كان من ركاكة في سبك العبارة أو لحنٍ يقع مثله من أعلام المؤلفين (كنصب اسم «كان» إذا تأخر علىٰ الجار والمجرور) فأبقيته علىٰ هيئته.

* أثبتُّ صيغ الترضِّي والترحُّم والدعاء كما وردت في المخطوط دون تغيير، وإن كان في بعضها نظر، كتخصيص علي بـ«كرم الله وجهه».

* وضعت الزيادات التي قدَّرتها لإقامة السياق بين الحاصرتين []، مع التعليق عليها إن احتاجت إلىٰ ذلك، وإلا أخليتُها عن التعليق لوضوح الأمر فيها.

* سلكت في التعليق علىٰ مسائل الكتاب سبيلَ التوسُّط، فلا أنا بالذي يعلِّق علىٰ مسألةٍ مسألةٍ ببيان أدلتها من الكتاب والسنة ولو كانت من المسائل

المعروفة المشهورة المستفيضة أدلتُها، كمسألة علو الله علىٰ العرش، وإثبات القدر خيره وشرِّه؛ ولا أنا بالذي يُغفل التعليق البتَّة، فلا يفتح المستغلق، ولا يستشكل المشكل، ولا يذكر عمَّن صدر المؤلف في بعض الإطلاقات أو من سبقه إليها من أئمة السنة.

* تحرَّيت العزو في الغالب إلىٰ أشهر طبعات كتب الحديث والتفسير في الهامش. وأما كتب السنة (الاعتقاد)، فإلىٰ نشرات عادل بن عبد الله آل حمدان، إلا «الشريعة» و«شرح السنة» لهبة الله الطبري، فإني فرغت من التعليق والعزو إليهما قبل أن يُطبع تحقيقُه لهما.

فأرجو أن أكون وُفِّقتُ فيما توخَّيت، وبالله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

○○○

كتاب فيه أصول دين الإسلام

ومنهاج الحق والبيان وسبيل الهدى ومصباح أهل السنة والجماعة
والحجة البالغة على أهل البدعة والضلالة وتذكرة لكل دين
بما جاء محمد صلعم ودين الأنبياء قبله صلى الله عليهم أجمعين

تأليف الشيخ السديد الإمام أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان
الكشي زاده الله في كرامته ورضي عنه وعن جميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

الحمد لله الذي هدانا للإيمان وعلمنا القرآن وجنبنا عبادة الأوثان وأبعدنا من
الشرك والعدوان وصلى الله على محمد نبي الرحمة وهادي الأمة وعلى أصحابه المنتجبين
وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين والسلام عليه وعلينا أجمعين ورحمة الله وبركاته
اعلم عصمك الله على طاعته وثبتك على دينه ومحبته أن أول ما يجب على العبيد والإماء
عند بلوغهم توجه الخطاب عليهم أن يؤمنوا بالله وحده وأن يعرفوه حق معرفته
ويقروا له بربوبيته وفردانيته ووحدانيته وأزليته وأبديته وهو تعالى على عرشه
بذاته وجميع أسمائه وصفاته باين عن جميع خلقه أحاط بكل شيء علما وأحصى
كل شيء عددا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ثم محيط بكل مكان لا يخلو من
علمه مكان لم يزل عالما متكلما له القدرة والمشيئة في خلقه لا شريك له ولا
نظير له ولا شبيه له ولا ند له ولا كفو له هو كما هو لا يعلم كيف هو إلا
هو ولا يعلم أحد كيفيته ولا أينيته إلا هو لا يعتبر فيه القياس ولا يجري في تفسير
البيان له القدرة والمشيئة في خلقه سميع بصير عليم حكيم حفيظ رقيب

بالكتاب والسنة والاجماع نصحي ابه شعدونا ومن تبع مذاهب القيام شتى وقلد
... الاعتقاد بكلامه وعنه وصلواته على خير خلقه محمد ... وفرغ من
صاحبه ... موسى بن احمد بن سعد ... منتصف ... العشر الاخر
ذي الحجة سنة ثلث وتسعين ... ولصاحبها بالمغفرة والرضوان
ولوالديه وجميع المسلمين ... وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

# كتاب فهم القرآن من شوق العروس

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على سيدنا
محمد خير خلقه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات المبرآت الذين شرع عليه وعليهم
السلام الحمد لله محيي كل نفس بعد موتها الهادي من انقطع إليه الكافي من توكل عليه المتولي
لرغبة الطالبين إليه فعليه توكل المتوكلون بالفوز لديه لا نحصي منه ولا نوصف إليه القرب
إليه به وأثني عليه عن واحد لا حد وطاعته وأقربك المحدثات المتضادات بخدمته
فسبحانه أبدي لا ابتداء له وأزلي لا زوال له وآخري لا آخر له فهو أول لا أول له وآخر لا نهاية
له لا تحيط به الأمور ولا تدركه الدهور يعفو بعفوه فلا يسمو أسرار عبده عذابه أحد
فهو للعارفين وأثني عليه الواجبين الذين اطلعهم على مكنون أسراره وكشف لهم عن
حقيقة أنبائه فنطقوا بمعنى كفاية وعبروا لها التوفيق عن أشكال الرواية
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الكامل بالنبوة والمثابة بالرسالة اختاره من الآدميين وفضله
على العالمين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ثم إن قائلك ... التوفيقات لما يقين لقلبك العلماء العارفين قلبك

# كتاب فيه

# أصول دين الإسلام ومنهاج الحق والإيمان وسبيل الهدىٰ ومصباح أهل السنة والجماعة والحجة البالغة علىٰ أهل البدعة والضلالة

وذلك دين نبينا محمد ﷺ ودين الأنبياء من قبله صلىٰ الله عليهم أجمعين.

تأليف

الشيخ السديد الإمام

## أبي العباس أحمد بن الحسن بن عنان الكشكشي

- زاد الله في كرامته ورضي عنه وعن جميع المسلمين -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يسِّر وأَعِن

الحمد لله الذي هدانا للإيمان وعلَّمَنا القرآن، وجنَّبنا عبادةَ الأوثان، وأبعدَنا من الشرك والعُدوان، وصلىٰ الله علىٰ محمدٍ نبيِّ الرحمة وهادي الأمة، وعلىٰ أصحابه المُنتَجَبين، وعلىٰ أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، والسلام عليهم وعلينا معهم ورحمة الله وبركاته.

اعلَمْ ـ أعانك الله علىٰ طاعته وثبَّتك علىٰ دينه ومحبته ـ أنَّ أولَ ما يجب علىٰ العبيد والإماء[1] عند بلوغهم توجُّهَ الخطاب عليهم: أن يؤمنوا بالله وحده، وأن يعرفوه حقَّ معرفته، ويُقرُّوا له بربوبيته وفردانيته ووحدانيته وأزليته وأبديته.

وهو تعالىٰ علىٰ عرشه بذاته وجميع أسمائه وصفاته، بائنٌ عن جميع خلقه، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصىٰ كل شيءٍ عددًا، يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور، علمُه محيط بكلِّ مكان، لا يخلو من علمه مكان[2].

---

(١) رسمه في الأصل: «الامَي»، كذا بالفتحة علىٰ الميم، وإلا فيصحُّ أن يُقرأ: «الآمِي»، وهو جمع قلَّةٍ علىٰ زنة أَشْهُر وأَرْجُل بقلب الضمة كسرةً من أجل الياء.

(٢) كأن المؤلف صادر في هذه الفقرة عن قولِ مالكٍ الصغير (ابن أبي زيد): «إنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه»، وقولِ مالكٍ الإمام: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان». انظر: «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» لعادل آل حمدان (ص٩٠٨، ١٨٠).

لم يزل عالمًا متكلِّمًا، له القدرة والمشيئة في خلقه، لا شريكَ له ولا نظيرَ له، ولا شِبهَ له ولا نِدَّ له، ولا كُفْؤَ له. هو كما هو، لا يعلم كيف هو إلا هو، لا يعلم أحدٌ كيفيَّته ولا إنِّيَّته[1] إلا هو، لا يعبر فيه اللسان ولا يجري في نشره البيان.

له القدرة والمشيئة في خلقه، سميع بصير، عليم حكيم، حفيظ رقيب. وكلُّ ما وَصَف به نفسَه في كتابه وجميعُ أسمائه وصفاته حقٌّ، والإيمانُ به واجب، والكلامُ فيه بدعة، مثل قوله: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقولِه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقولِه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وما أشبه ذلك، ففي القرآن مثلُه كثير.

وكذلك الإيمان واجب بجُمَل الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ وإمرارُها كما جاءت بلا كيف، مثل حديث الإسراء حيث قال ﷺ: **«رأيت ربِّي في أحسن صورة»**[2]، و**«قلوب العِباد بين إصبعَين من أصابع الله تعالىٰ يقلّبها كيف يشاء ويُوعيها ما أراد، إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها»**[3]، و**«خلق**

---

(١) إنِّيَّة الشيء: ذاته وحقيقته، من قولهم: إنَّه كذا. كان رسمه في الأصل: «اينيته»، والمثبت هو مقتضىٰ السياق، ووقع محرَّفًا أيضًا فيما سيأتي (ص٢٥).

(٢) لم يكن هذا ليلة الإسراء، وإنما في المنام، كما في غير حديث، أمثلُها حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٢٢١٠٩) والترمذي (٣٢٣٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٩). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح».

(٣) مجموع من حديثي أنس وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أحمد (١٢١٠٧، ٢٦٥٧٦) والترمذي (٢١٤٠، ٣٥٢٢)، إلا أنه ليس فيهما: «ويوعيها ما أراد». والحديثان حسَّنهما الترمذي.

آدم علىٰ صورته»[١]، و«ينزل اللهُ كلَّ ليلة إلىٰ سماء الدنيا»[٢]، و«ينزل يوم القيامة لفصل القضاء»[٣]، و«ينزل مع كل قطرةٍ مَلَكٌ من السماء حتىٰ يضعها حيث يؤمر»[٤]، و«السماوات والأرضين يوم القيامة في كفِّه وقبضته»[٥]، و«يضع قدمَه في جهنم فتَنْزَوِي»[٦]، و«يُخرج قومًا من النار بيده»[٧]، وما أشبه هذه الأحاديث الصحاح؛ كلُّها تُمَرُّ كما جاءت بلا كيف، لأنها جاءت مُقفَلةً ومفاتيحُها مع رسول الله ﷺ.

وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: نهانا الله - تعالىٰ ذكرُه - عن تفسير متشابه القرآن، وعن تفسير بعض الأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٦١٢، ٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٨٢٤) وابن حبان (٤٠٨) من حديث أبي هريرة بنحوه. وفي الباب حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند الطبراني في «الكبير» (٩٧٦٣) وغيره.

(٤) لم أجده، وقد قال التابعي الفقيه الحَكَم بن عُتيبة الكندي: «بلغني أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثرُ من ولد آدم وولد إبليس، يُحصون كلَّ قطرةٍ، وأين تقع، ومن يُرزَق ذلك النبات». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «المطر» (١٠)، والطبري في تفسير (الحجر: ٢١)، والدِّينَوَري في «المجالسة» (٢٦٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٧، ٢٧٨٨) من حديثي أبي هريرة وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم بنحوه.

(٦) أخرجه البخاري (٦٦٦١، ٧٣٨٢) ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه.

(٧) جاء عند مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطويل في الرؤية والشفاعة: «فيَقبض **قبضةً** من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط».

المروية عن رسول الله ﷺ التي سبيلها كسبيل متشابه القرآن، وأمر بالإيمان بجملتها والإمساك عن تفسيرها[١]، لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ: الإيمان علينا واجبٌ بجميع ما في القرآن والتصديقُ به، وليس من ديننا ولا علينا تفسيرُ متشابه القرآن؛ لا [ق٢] يسألنا الله تعالىٰ عن ذلك، وقد وضع الله تعالىٰ عنَّا علمه ومعرفته وتفسيره، لأن علمه عند الله سبحانه وعند رسوله ﷺ[٢].

وإن متشابهات القرآن جاءت مُقْفَلة، وكذلك بعض الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ؛ ليس علينا تفسيرها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وروي عن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه وقف في تفسير بعض الأحاديث التي رُويت عن رسول الله ﷺ فقال: ليس علينا تفسيرها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾، فقيل له: ما هذا؟ فقال: مِن الله تعالىٰ العلمُ، وعلىٰ رسوله البلاغ، وعلينا الإيمان والتسليم[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لعل هذا منتهىٰ القول، ولم أقف عليه.

(٣) أسند ابنُ أبي عاصم في «الزهد» (٧١) وابن حبان (١٨٦) وأبو نُعَيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩) عن الأوزاعي أنه سأل الزهري عن حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو =

وقال: ما لم يفسره النبي ﷺ وأصحابه ليس علينا أن نفسِّره من تلقاء أنفسنا ورأينا[١]، لأن النبي ﷺ قد نهانا عن الرأي والقياس في الدين إلا ما وافق الكتاب والسنة[٢].

كذا الرواية عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لو رضي الله ـ تعالىٰ ذكرُه ـ للخلق بعقولهم ما أرسل إليهم الرسل، ولا أنزل عليهم الكتب، ولم يبيِّن لهم السنن، ولم يأمرهم باتباع الكتاب والسنة[٣].

وقال محمد بن عبد العزيز[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أصحاب الرأي والقياس مبتدعةٌ ضالةٌ خوارجُ عن ملة الإسلام، لأن أصحاب الرأي والقياس يريدون

=

مؤمن»، ما هذا؟ فقال: «من الله العلم...» إلخ بنحوه. وقد علَّق البخاري قول الزهري فقط في التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وأسنده الخلال في «السنة» (٩٨٥)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٣٥٠ - ابن أبي العينين) عن ابن عيينة أن الزهري سئل عن قوله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود» وما أشبهه، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال بنحوه.

(١) رسمه في الأصل: «ورايت ا».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) كذا في الأصل، وأخشىٰ أن يكون «محمد» مصحَّفًا عن «عمر». والأثر لم أجده بهذا اللفظ عن أحد. وفي الباب قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيَتْهم الأحاديثُ أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا». أخرجه الدارقطني (٤٢٨٠)، وابن أبي زمنين في «السنة» (٨)، وكذا هبة الله الطبري (٢٠١)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٥٩، ٢٦٠) من طرق عنه.

بـذلك تعطيـلَ الكتـاب والسـنة، وتبطيـلَ العلـم والأثـر، والتفـرُّدَ بـرأيهم وقياسهم.

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المؤمن يأخذ الدين من ربِّه ونبيِّه، والمنافق يأخذه من رأيه وقياسه(١).

وروي أنـه جـاء رجـل إلـىٰ علـي بـن أبـي طالـب كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ فقـال لـه: يـا أمير المؤمنين، أين كان الله قبل اليوم؟ فقال: حيث هو اليوم. فقال: أين هـو اليـوم؟ قال: حيث كان قبل اليوم، لا تَخْطِر عليه القلوبُ ولا تقع عليه الأوهام، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير(٢).

وقيل: إن عمرو(٣) بن عثمـان المكـي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: كلمـا توهَّمـه قلبُك، وسنح في مجـاري فكـرك، أو خطـر في معارضـات قلبـك مِـن حُسـنٍ أو بهـاءٍ أو أُنْـسٍ أو ضيـاءٍ أو جمـالٍ أو شَبَحٍ أو نـورٍ أو شـخصٍ أو خيـال= فـإن الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) لم أقف عليه. ومن قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنىٰ: «إنما الدين بالآثار ليس بالرأي». أسنده الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٣).

(٢) لم أقف عليه، ولا إخاله يصح.

(٣) في الأصل: «عمر»، والمثبت الصواب. وهو: عمرو بن عثمان بن كُرَب بن غُصَص، أبو عبد الله المكّي، الصوفي الزاهد، وكان فقيهًا ولي قضاء جُدَّةَ مدةً، ثم سكن بغداد ومات بها سنة ٢٩١، وقيل بعد ذلك. انظر: «طبقات الصوفية» (ص١٦٢) و«تاريخ بغداد» (١٤/ ١٣٥) و«سير النبلاء» (١٤/ ٥٧).

وقوله هذا أسنده السُلَمي في «الطبقات» (ص١٦٣-١٦٤)، وعنه القشيري في «الرسالة» (ص١٦٨).

وراء ذلك كله، بل هو أعظم وأجلّ وأكبر، ألا تسمع قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

لا يُوصَف ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ إلا بما وصف به نفسه، ولا نتفكر فيه فإن الفكرة فيه تقدح الشك في القلب[١].

وروي أن رجلًا سأل مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟ فصعق مالك وغُشي عليه وقُبض علىٰ الرجل، فلما أفاق قال: أين الرجل السائل؟ فأُتي به، فقال مالك: كيف قلت؟ قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوىٰ؟ فقال مالك: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول ـ وفي نسخة أخرىٰ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول[٢] ـ والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأراك ضالًّا، أخرِجوه! فأُخرِج من مجلسه مجرورًا[٣].

فهذا دليل علىٰ أن كلَّ ما وصفه اللهُ به نفسَه في كتابه وجميعَ أسمائه= الإيمانُ به واجبٌ والكلامُ فيه بدعة.

---

(١) قارن بـ«شرح السنة» للبربهاري (ص٦٨) دار المنهاج، فكأن المؤلف صادر عنه.

(٢) بكلا اللفظين روي قول مالك، والأول أكثر وأصح. وعبارة: «وفي نسخة أخرىٰ» ستتكرر في الكتاب، ولعلها كانت في طرر النسخة المنقول منها، فأقحمها الناسخ في الأصل.

(٣) أخرجه هبة الله الطبري في «أصول السنة» (٦٦٤) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٢٥-٣٢٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١) وغيرهم بنحوه.

والاسمُ نعته وصفته[1] لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والأسماء كلها صفته، والمسمَّىٰ غير مُتَّصل ولا منفصل، مجموع في الحقيقة مفترق في العلم[2]، منه بدأ وإليه يعود، غير بائن منه.

إلا[3] الاسم هو «الله» الذي تفرَّد به وسمَّىٰ به نفسه، لا يقال به غيره. وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] يعني: هل تعلم أحدًا يُسَمَّىٰ «الله» إلا الله؟

وقد أظهر الله تعالىٰ أسماءه وصفاتِه لِيُعرَفَ بها ويُذكَر في السماوات والأرضين. والأسماء تنصرف علىٰ معاني مختلفةٍ لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٥٧]، فهذه صفة معرفة ذاته.

وقال الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما كان من أسمائه ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر ٢٣]، فهذه صفة ملكه

---

(١) في الأصل: «صفاته»، والمثبت مقتضىٰ السياق.

(٢) يعني: أن مدلول أسماء الله تعالىٰ – وهو الصفة والذات المتصفة بها – مجموع في الحقيقة، فلا توجد ذات مجردة عن الصفات أو الصفات المجردة عن الذات، ولكنه في العلم مفترق، فالعقل يفهم من الذات غير ما يفهم من كل صفة صفة. انظر: «جامع المسائل» لشيخ الإسلام (٤/ ٤١٤).

(٣) لم يتضح وجه الاستثناء، إلا إذا كان المقصود أن الاسم المعظَّم «الله» ليس دالًّا علىٰ صفةٍ كسائر الأسماء، وإنما هو علم محض. وهي مسألة هل اسم «الله» مشتق أو غير مشتق؟ انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٢١)، «تفسير أسماء الله» للزجاج (ص٢٥)، «تهذيب اللغة» (٦/ ٤٢٢)، و«بدائع الفوائد» (١/ ٣٩).

وقدرته. [ق٣] وما كان من قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1] [الجن: ٣] ومثل قوله: ﴿لَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]، فهذه تنزيهًا لنفسه. وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فهذا مدحه لنفسه. وما هو مثل قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، فهذه صفة علمه وعظمته. وما كان من قوله: (الرحمن الرحيم، الجواد الكريم، البارئ المصور، الودود)، فهذه صفة أخلاقه؛ أظهر الله تعالىٰ هذه الأسماء ليتخلَّق بها عبادُه وأصفياؤه وأولياؤه الذين اختارهم الله تعالىٰ من خلقه[2].

فأهل المعرفة لزموا بحكم[3] الكتاب والسنة والعلم، ولم يُحدِثوا من رأيهم بدعةً، ولم يتكلفوا ما لم يُكلَّفوا علمَه، ويعملون بمحكم الكتاب والسنة ويؤمنون بمتشابهه من ذلك، ويقفون عند ما اختَلَف فيه أهلُ الجهل والعماية. فبذلك صاروا أهلَ المعرفة، لأنهم لزموا الأصل من الكتاب والسنة وتركوا ما اختَلَف فيه أهلُ الزيغ والزلل والرأي والقياس، ثم دَعَوا الخلقَ إلىٰ الله سبحانه وإلىٰ طريقه المستقيم بالموعظة الحسنة والحجة البالغة، واستعملوا به[4] حكم الكتاب والسنة، فأمَرَ اللهَ الخلق كلَّهم أن يسألوهم إذا

---

(١) في الأصل: «لم يتخذ...»، سهو.

(٢) لم أقف عليه. وفي كون «البارئ المصور» من صفات الله التي يحب أن يتخلق بها عباده نظر، كيف وقد صحَّ الوعيد الشديد في حق المصورين؟!

(٣) كذا في الأصل، وكأنه ضمَّن «لزموا» معنىٰ «تمسَّك» أو «عمل».

(٤) كذا في الأصل.

جهلوا وأن يردُّوا فيما اختلفوا فيه إليهم لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ـ قال مجاهد وعطاء: هؤلاء هم الفقهاء والعلماء[1] ـ ثم قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عزَّ ذكرُه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، وهم أهل البحث والنظر الذين عملوا بشرط الكتاب والسنة ولم يتجاوزوا إلىٰ غيرهما، وكلما نزلت نازلةٌ من غير سنةٍ أو حدثت حادثةٌ من بدعةٍ رجعوا فيه إلىٰ الكتاب والسنة وقابلوه بهما، فما وجدوا فيهما أثبتوهما، وما لم يجدوا فيهما تركوهما[2]؛ فأولئك أهل الاستنباط والمعرفة، فهم مِن خاصَّته، وليس ذلك لغيرهم من أهل الجهل الضالين الذي يضلون أنفسهم بغير علم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

وقد أخبر الله تعالىٰ في القرآن تبيانَ كلِّ شيءٍ وأظهره لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين، كلُّ ما احتاجوا إليه وجدوه، ولم يُبقِ لهم شيئًا ممَّا احتاجوا إليه، وأخبرهم ﷺ بذلك، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال عزَّ اسمه: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٨١) بنحوه.

(٢) «أثبتوهما... تركوهما»، كذا في الأصل. ولعل التثنية باعتبار النازلة والحادثة.

ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال أبو ذر الغفاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قُبِض رسول الله ﷺ وما ترك طائرًا يطير بجناحيه في الهواء إلا أنبأنا بذلك علمًا، عَلِمه مَن علمه، وجَهِله من جهله(١).

فمُحال أن يكون أمرًا(٢) ينزل بالأمة مما يحتاجون إليه ولا يكون موجودًا عند أهل الاستنباط من أهل الكتاب والسنة.

وروي عن ابن عباس وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها**»(٣).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أخوَفُ ما أخاف علىٰ أمتي كلُّ منافقٍ عليم اللسان**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٣٦١، ٢١٤٣٩) عن سليمان الأعمش، عن المنذر بن يعلىٰ الثوري، عن أشياخ لهم، عن أبي ذر بنحوه، دون «علمه من علمه...» إلخ.

(٢) كذا في الأصل، والوجه الرفع.

(٣) حديث جابر أخرجه مسلم (٨٦٧) وغيره بنحوه، وهذا لفظ النسائي (١٥٧٨) وابن خزيمة (١٧٨٥). ولم أجد حديث عبد الله بن عبَّاس، ولكنه قد صحَّ من حديث عبد الله بن مسعودٍ عند البخاري (٧٢٧٧) موقوفًا عليه.

(٤) أخرجه أحمد (١٤٣) عن عمر مرفوعًا. وأخرجه الفِريابي في «صفة المنافق» (٢٦) ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٣) موقوفًا عليه، وهو أشبه. انظر: «العلل» للدارقطني (٢٤٦). علىٰ أنه صحَّ نحوه مرفوعًا من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه ابن حبان (٨٠) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٧).

وقال أبو ثعلبة الخُشَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا وهوًى متَّبعًا وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك بخاصَّة نفسك**»(١).

لأن من غلب عليه الهوىٰ لم ينفعه العلمُ لغلبة الهوىٰ عليه فيَعمىٰ ويَصَمُّ عن الحق، لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، يعني لا يقتدون بالكتاب والسنة، وهم أهل الرأي والقياس.

وقال مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رحم الله عبدًا نظر لنفسه وترك الكلام فيما لم يتكلم به مَن كان قبله، فإنه قد كفاه بغيره(٢).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم(٣).

وقال تعالىٰ ذكرُه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ [ق٤] مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وابن حبان (٣٨٥) والحاكم (٤/ ٣٢٢). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وفي إسناده ضعف وجهالة، انظر: «الضعيفة» (١٠٢٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الدارمي في «المسند» (٢١١) والطبراني في «الكبير» (٨٧٧٠) وهبة الله الطبري في «شرح السنة» (١٠٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٤) من طرق عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عنه. وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح. وروي أيضًا من مرسل إبراهيم النخعي عن ابن مسعود عند زهير بن حرب في «العلم» (٥٤) وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٨٥).

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وقال ابن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ يعني: يخالف الرسول، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ يعني به إظهار النبوة والرسالة عليه، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني به إجماعَ الصحابة عليه، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1]؛ يعني: من خالف النبي ﷺ وأصحابه وعدهم الله نار جهنم وساءت مصيرًا.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا وقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطَّ عن يمين الخط خطوطًا وعن يساره كذلك وقال: «**هذه سبل، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو الخلق إليه**» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]ـ يعني الخطوطَ التي[2] عن يمينه وعن يساره ـ[3].

فهذه براءة من قول الملاحدة والزنادقة وما يتشعَّب من مذاهبهم وأقاويلهم.

○○○

(١) لم أقف علىٰ تفسير ابن عباس.

(٢) في الأصل: «الذي»، خطأ.

(٣) أخرجه أحمد (٤١٤٢) والدارمي (٢٠٨) والنسائي في «الكبرىٰ» (١١١٠٩) وابن حبان (٦، ٧) والحاكم (٢/ ٣١٨) من طريق حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعًا بنحوه. وهذا إسناد جيِّد.

وأن الإسلام غير الإيمان، لأن الإسلام هو القول، والإيمان هو العمل.

والإيمانُ: ما كان من صفات الله فهو غير مخلوق، وما كان من أفعال الخلق فهو مخلوق[1].

OOO

(١) ورود هاتين الفقرتين هنا بعد المقطع الذي يختم به المؤلف أبوابه: «فهذه براءة...» = أخشىٰ أنه من خطأ الناسخ، ولا سيما أن كلتيهما ستأتي في موضعها اللائق بها. وثَمَّ التعليق عليها. انظر: (ص٦٤، ٥٩).

# باب الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق

بل هو وحي الله وتنزيلُه، وقراءة القرآن هو القرآن والتلاوة، واللفظ به هو المسموع من كلام الله دون حركات العباد به.

أما الجهمية تقول[1]: إن القرآن مخلوق، شبَّهوا اللهَ بهذا القولِ بعبدة الأوثان، وهم كفار زنادقة، لأن الوثن لا يسمع ولا يُبصر ولا يتكلم، ولا يغني عنك شيئًا. وهكذا قول هؤلاء: إن الله ـ عزَّ اسمه ـ لا يتكلم، ومن قال هذا فقد كفر، لأنه لا يجوز أن يكون الخالقُ غيرَ متكلم.

وبالكلام خلق الخلقَ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فأخبر ـ تعالىٰ ذكرُه ـ أنه بالكلام خلق الخلق.

وأما عبدة الأوثان والأصنام فإنهم عبدوا ما لم يتكلم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فأخبر أن كل من لم يُجب إذا دُعي لا يكون ربًّا.

وقال عزَّ ذكرُه: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

---

(١) كذا في الأصل بدون الفاء.

وقال تعالىٰ: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨] يعني: غير مخلوق(١).

وقال النبي ﷺ: **«قرأ ربُّنا ﴿طه﴾ و﴿طسٓ﴾ و﴿يسٓ﴾ قبل أن يخلق آدم بألفي عام»**(٢).

ويُروىٰ عنه أنه قال: **«فضل القرآن علىٰ سائر الكلام كفضل الله علىٰ خلقه، وذلك أنه منه»**(٣).

---

(١) رُوي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في رواية علي بن أبي طلحة عنه. أخرجه الآجرِّي في «الشريعة» (١٥٧) وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢١٩٢) وهبة الله الطبري في «السنة» (٣٥٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٨).

هذا، وقد يقال: إن مراد ابن عباس بـ«غير مخلوق» أنه ليس مفترًىٰ، لأن الكلام المفترىٰ يكون ذا عوج ولا بدَّ. يقال: خلق الإفك واختلقه إذا افتراه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾. وقد يؤيد هذا أن القول بخلق القرآن لم يكن قد ظهر بعد، والله أعلم.

(٢) أخرجه الدارمي (٣٤٥٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٢٨) والطبراني في «الأوسط» (٤٨٧٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وليس فيه «﴿طسٓ﴾»، وتمامه: «فلما سمعت الملائكةُ القرآن قالت: طوبىٰ لأمةٍ ينزل هذا عليها، وطوبىٰ لأجوافٍ تحمل هذا، وطوبىٰ لألسنة تتكلم بهذا». وهو حديث موضوع. انظر: «المجروحين» لابن حبان (٢/ ١٠٥) و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢٣٨) و«الضعيفة» (١٢٤٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «الصفات» (٥٠٥، ٥٠٦) من حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. والصواب أنه من قول أبي عبد الرحمن، قاله عقب روايته عن عثمان حديثَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، كما عند الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٤١) وهبة الله الطبري (٥٥٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠١٩) وفي =

وقال النبي ﷺ: «**هذا القرآن من الله ككلام الخلق من الخلق**»[(١)]، فلما كان الله تعالىٰ غير مخلوق كان كلامه غير مخلوق.

**فإن قال مخالف:** وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] يعني به القرآن[(٢)].

**قيل له:** اللفظُ: «ذِكرُه»[(٣)]، وقد قيل في بعض التفاسير: إنه محدث علىٰ أسماع الخلق لأنهم سمعوا شيئًا لم يسمعوا به إلا بعد ما أُنزل علىٰ محمد ﷺ. قيل: مُحدَث علىٰ استماعهم بذلك، دل أنه محدث التنزيل علىٰ أسماع[(٤)] الخلق، إذ وقع في أسماعهم شيئًا لم يسمعوه قط.

وعن أبي هريرة أنه قال: كنت عند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما تقول في القرآن؟ مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فتعجَّب عمر من قوله وأخذ بيده ومرَّ به إلىٰ علي بن أبي طالب ـ رضوان الله

---

= «الصفات» (٥٠٤). انظر: «الفصل للوصل المُدْرَج في النقل» (١/ ٢٥٢).

هذا، وقد روي دون قوله: «وذلك أنه منه» من حديثَي أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، ولكنهما واهيان. انظر: «الضعيفة» (١٣٣٤، ١٣٣٥) و«أنيس الساري» (٢٥١٣، ٤٧٥٨).

(١) لم أقف عليه.

(٢) قوله «يعني به القرآن» ورد في الأصل بعد «اللفظ ذكره» مصدَّرًا بـ«وفي نسخة أخرىٰ». والذي يظهر أن هذا موضعه، ولعله كان لحقًا في هامش الأصل المنقول منه، فظنه الناسخ أنه إشارة إلىٰ نسخة أخرىٰ ولم يهتدِ لموضعه. والله أعلم.

(٣) كأنه يعني: ليس في الآية أن القرآن محدث، إنما لفظ الآية: ذكرُه محدث.

(٤) في الأصل: «استماع»، ولعله تصحيف المثبت.

عليهما ـ وقال: يا أبي الحسن، ألا تسمع ما يقول هذا الرجل؟ فقال: وما يقول؟ فقال الرجل: إني سألت أمير المؤمنين عن القرآن مخلوق هو أم غير مخلوق؟ قال: فوَجَم[١] لها عليٌّ ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنه سيكون من[٢] كلامه هذا في آخر الزمان، ولو وُلِّيتُ[٣] من الأمر ما وُلِّيتَه لضربت عنقه[٤].

فدل ذلك علىٰ تكفيرهم وضلالتهم بهذا القول.

وقد قال سهل بن عبد الله: وممَّا يدلك علىٰ أن القرآن غير مخلوق بإجماع أهل العلم أنَّ كلَّ من حلف بشيءٍ من خلق الله مثل السماوات والأرضين [ق٥] والملائكة والأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وغيرهم ثم يحنث فلا كفارة عليه، ومن حلف بالقرآن أو بآيةٍ أو بحرفٍ فيحنث فيه فعليه الكفارة، وليس بينهم في هذا خلاف[٥].

والآيتان في سورة[٦] البقرة وآل عمران يدلان كذلك أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة:

---

(١) وَجَم الرجل: إذا سكت علىٰ اهتمام أو حزن أو غيظ.

(٢) في الأصل: «في»، ولعله تصحيف عن المثبت.

(٣) كذا مضبوطًا في الأصل، وإلا فيصح: «وَلِيتَ».

(٤) لم أقف عليه، ولا إخاله يصح.

(٥) بل ويرىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن من حلف بالقرآن فعليه بكل آيةٍ منها يمين، فإذا حنث يكون عليه بكل آيةٍ منها كفارة. انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٣٥٧-١٢٣٦٢) و«الأوسط» لابن المنذر» (١٢/ ٩٨). هذا، ولم أجد قول سهل التُّستري.

(٦) في الأصل: «صورة»، سهو.

١٧٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١]، فوجه الكلام يدل علىٰ أن كلامه ليس بمخلوق.

وقال عزَّ مِن قائل: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1] [الزمر: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، فأخبر ـ تعالىٰ ذكره ـ أن القرآن منه، ولا يكون من الخالق شيء مخلوق[2].

**فإن احتج** محتج بقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦][3].

**فقل**: هو خالق كل مخلوق، بقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فقد يَهلِك ما كتب عليه الهلاك. وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال عزَّ اسمه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، فهل تدخل نفس الله في الأنفُس في ذوق الموت وغيره؟ فإن قال: لا،

---

(١) سقط ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ من الآية في الأصل.

(٢) تصحيح الحجة أن يقال: لا يكون شيء من صفات الله والأفعال الصادرة منه مخلوقًا. وأما مجرد الوصف بأنه «منه» فلا يقتضي أن يكون غير مخلوق. وقد وصف الله بعض المخلوقات بأنها «منه»، كقوله تعالىٰ في الغنائم: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]، قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

(٣) لعل المؤلف صادر عن «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٧٤) في ذكر هذه الشبهة والرد عليها.

فقل: فكذلك لم يدخل[١] في جملة ما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقال عزَّ اسمه في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، ولم تؤتَ[٢] من كل شيء، لأن الجنة أيضًا من الأشياء (نسخة أخرىٰ: لأن الخير أيضًا شيء)[٣] ولم يكن له إثبات. وقال تعالىٰ: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٥]، فهل دمَّرت كل شيء في الأرض؟ إنما دُمِّر ما كُتب عليه الدِّمار.

ثم إن الذي يدلكم أيضًا علىٰ أن القرآن كلام الله غير مخلوق قولُ الله عزَّ اسمُه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣]، يُقرأ ذلك بالرفع والنصب جميعًا: ﴿كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[٤]، فدل ذلك أنه كلام الله.

وقال عزَّ اسمُه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فمن زعم أن الله تعالىٰ أسمع موسىٰ كلامًا من غير أن يتكلم به، فأوجده إياه من غير أن تكلَّم= فقد زعم أن الكلام دعاه إلىٰ عبادته من دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤][٥].

---

(١) أي: القرآن. وفي الأصل نُقط من فوق ومن تحت، فـ«تدخل» أي: نفس الله، والأول أولىٰ.

(٢) في الأصل: «تؤتىٰ».

(٣) ما بين القوسين أثبته الناسخ في صلب الكتاب، وقد سبق له نظير (ص٩).

(٤) في الأصل: «كلام الله»، ولعل المثبت أشبه. ونصب الاسم المعظَّم قراءة شاذة، تنسب إلىٰ ابن ميسرة. انظر: «الشواذ» لابن خالويه (ص١٥).

(٥) هذا استدلال لطيف، تقريره: إن الله إذا قال: اعبدني، فالضمير راجع إلىٰ الله، فإذا لم يكن اللهُ هو الذي قال ذلك، وإنما وُجد كلامٌ من غير متكلِّم قام به ذلك= صار الكلام =

فالقرآن كلام الله تعالىٰ غير مخلوق، وحكمه غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، يعني عرَّف[1] العبادَ به الأمرَ والنهيَ والحلالَ والحرام، و«إليه يعود» يعني: حُكْمَ[2] ما يستعملون به العباد من الأمر والنهي.

فهذا القرآن وما يقرأه الناس وما في المصاحف وما نقرأه في الكتاتيب هو ذلك القرآن الذي تكلّم الله به، وهو كلام رب العالمين. أمر الله به القلم، وأمر القلم اللوح، وأمر اللوح إسرافيل، وأمر إسرافيل ميكائيل، وأمر ميكائيل جبريل، وأمر جبريل محمدًا ﷺ[3] . فمن فرَّق بين هذا وبين ذاك[4] فقد كفر؛ لا زيادة فيه ولا نقصان.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنزله علىٰ قلبه وأمضاه علىٰ لسانه، وهو متصل غير منفصل، مَثَله كمثل النار في الحجارة والحديد، إذا تحرَّكت اليدان بهما جميعًا بدا منهما النار، فإذا سكنت اليدان رجعت النار إلىٰ

=

هو الذي يقول: اعبدني! معنىٰ ذلك أن الكلام يدعوه إلىٰ عبادته ـ أي: عبادة الكلام ـ من دون الله. وهو باطل، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

(١) كأنه هكذا ضبط في الأصل بتشديد الراء.

(٢) بعده «المصاحف»، ولكن عليه علامة الضرب. وسياق الكلام فيه قلق.

(٣) هذا الترتيب منكر، ظاهر النصوص علىٰ خلافه. وقال الإمام أحمد في القرآن: «سمعه جبريل من الله، وسمعه النبي ﷺ من جبريل». «السنة» للخلال (١٧٦٨، ١٨٤٧). وقال قِوام السنة الأصبهاني (ت٥٣٥): «مذهب علماء السنة وفقهائهم: أنه الذي تكلَّم اللهُ به، وسمعه جبريل من الله، وأدىٰ جبريل إلىٰ النبي ﷺ». «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٠٠).

(٤) أي من فرَّق بين القرآن الذي نقرأه وبين ما تكلَّم الله به.

وطنها[١].

والدليل على ذلك قول ابن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: قال النبي ﷺ: «**خلق الله تعالى عِرقًا من نورٍ أصله في وسط القلب والجلد إلى الحلقوم وفي وسط[٢] اللسان، أدق من الشعرة وأبيض من الثلج وأطيب من المسك، وهو مخصوص لمجاري كلام الله تعالى وأسمائه وصفاته**»[٣].

وقال النبي ﷺ: «**إذا همَّ المؤمن بقراءة القرآن كسا الله قلبه ولسانه نورًا أزليًا، ولولا ذلك النور لاحترق العبد وما تحته إلى تخوم الأرضين السابعة السفلى. وكذلك إذا همَّ المنافق بقراءة القرآن كسا الله لسانه نورًا، فيتلو[٤] بذلك النور من غير علمه بتلاوته وليس في قلبه تصديق**»[٥].

وسُئل سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اللفظ بالقرآن وعن طريق القرآن من القارئ فقال: إن جوارحي كلها تجري عليها القرآن وهي مخلوقة والقرآن غير مخلوق، واللفظ به غير مخلوق[٦]. وتفسير ذلك أن اللسان والشفتين

---

(١) لم أقف عليه، ولا إخاله يصح.

(٢) الكلمة غير محرَّرة في الأصل، هذه صورتها: [صورة الكلمة]

(٣) لم أقف عليه، والنكارة بل وأمارات الوضع عليه لائحة. ثم إنه ليس فيه ما يدل على المطلوب الذي هو إثبات أن القرآن غير مخلوق.

(٤) كذا استظهرت الكلمة من السياق، وإلا فرسمها: [صورة الكلمة]

(٥) لم أقف عليه، وهو مثل السابق، بل أشد نكارة.

(٦) لم أقف عليه، ولا إخاله يصح. وهذا الإطلاق نهى عنه أئمة السلف كأحمد وغيره، فقالوا: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير =

والأسنان والحنك والحلقوم هي كلها مخلوقة، وهي طرق القرآن ومجاري القرآن [ق٦] كله، قد أجري القرآن علىٰ هذه المجاري والطرق، وهو كلام الله غير مخلوق، فإذا خرج من الفم وسمعه السامع فحينئذ سماع اللفظ غير مخلوق[١]، واللفظ بالقرآن هو القرآن بعينه وهو كلام رب العالمين.

واللفظ علىٰ نوعين: كلُّ ما كان من كلام الخالق وصفاته فهو غير مخلوق، وما كان من صفات المخلوقين وكلامهم فهو مخلوق؛ فلفظٌ مخلوقٌ ولفظٌ غيرُ مخلوق. فمعنىٰ اللفظ المخلوق تقول: «لَفَظ به»، أي نطق به. ومعنىٰ اللفظ ليس بمخلوق: أي جاز عليه إمضاؤه[٢].

والقرآن عِلْم بين علمين، وسرٌّ بين سرَّين، وأمرٌ بين أمرين، علمه مرموز وتحته جواهر وكنوز، من يناله يفوز، لا يحير[٣] ولا يشبه، ولا حَدَثٌ ولا مخلوق، بل هو كلام المَلِك الجبَّار العزيز الغفَّار. وهو غيبٌ يظهر في الغيب للغيب وحقٌّ ينطق بالحق للحق، وهو ينطق بنطق الناطق لا بلفظ الملفوظ، فإذا سكت القارئ رجع الكلام إلىٰ متكلِّمه بلا كيفية ولا إنِّيَّة[٤].

=

مخلوق فهو مبتدع». «السنة» للخلال (٢١٠٩-٢١٥١). وذلك أن «اللفظ» مجمل، فقد يراد به فعل العبد من حركة لسانه وشفتيه، وقد يراد به الملفوظ به الذي هو كلام الله. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٢٠٧-٢١١، ٤٢١-٤٢٩)، (١٧/ ٣٥).

(١) كذا قال، والحق أن القرآن غير مخلوق والسماع له مخلوق.

(٢) رسمه في الأصل: «امضايه». والعبارة فيها قلق.

(٣) مهمل غير منقوط في الأصل.

(٤) في الأصل: «أينية»، ولعل المثبت الصواب، وقد سبق نحوه في أول الكتاب.

فاللفظ مخلوق والنطق بالقرآن غير مخلوق[١]، واللسان مخلوق والمتلو به غير مخلوق، والعينين مخلوق[٢] والمنظور بهما غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع بهما[٣] غير مخلوق، واليدان مخلوقتان والمخطوط بهما غير مخلوق، فمن يخوض في مخاطبتها بغير علم فقد هلك إلا بعلم البصيرة والعيان بعناية الله تعالىٰ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر]، ولولا أنْ منَّ الله علينا وعلىٰ عباده ويسَّره علىٰ قلوبهم ما أطاق أحدًا[٤] أن يتكلَّم بحرفٍ من القرآن.

وروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[٥] [الرعد: ١٧]، أي: قلوب العباد[٦]. معناه: أن كل إنسان يحمل من القرآن ومن فهمه وعجائبه علىٰ قدر سعة عقله ورقه[٧] ومقامه عليه.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فقال

---

(١) كذا، ولم يحرر الفرق بين اللفظ والنطق، وكلاهما مصدر يحتمل الفعل القائم بالعبد ويحتمل الملفوظ المنطوق الذي هو كلام الله، فالأول مخلوق، والثاني غير مخلوق.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، وكأنه أعاد الضمير علىٰ توهُّم ذكر الأذنين.

(٤) كذا في الأصل، والوجه الرفع.

(٥) في الأصل: «وأنزلنا...»، سهو.

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٩٨) من رواية علي بن أبي طلحة عنه. وذكره في «البسيط» (١٢/ ٣٣٣) من رواية عطاء عنه.

(٧) كذا في الأصل، ولم أتبيَّن وجهه.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من القلوب قلوب[١] أُقفِلت عن التدبُّر[٢] والتبيين ومُنِعت عن التلاوة والبلوغ وصُمَّت عن الاستماع، ومن القلوب قلوب كُشِف عنها الغطاء، فلا يكون لها راحة إلا بتلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبُّر فيه، فشتان ما بين القلبين[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، أي لا تعجل به. وقد بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي وقرأ عليه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ القرآنَ استعجل رسولُ الله ﷺ في قراءته مخافة أن ينساه، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أي بجمعه في صدرك وتألُّفِه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٨] أي إذا أَلَّفناه فاتَّبعْ تأليفه[٤]. ويقال: اتَّبعْ حلالَه وحرامه[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ٦]، يعني: سنُعلِّمك يا محمد

---

(١) كذا في الأصل، والوجه النصب.

(٢) في الأصل هنا والموضع الآتي: «التدبير»، والمثبت أشبه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٢٨، ٤٩٢٩) ومسلم (٤٤٨) عن ابن عباس بنحوه، وليس فيه ذكر آية (طه)، وقد ذَكَر نزولها في هذا السياق السديُّ كما في «الدر المنثور» (١٠/ ٢٣٠) نقلًا عن «تفسير ابن أبي حاتم». وانظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (١٨/ ٦٦)، (٢٨/ ١٣٨).

(٥) هو قول قتادة كما في «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٠٣).

فلا تنسىٰ، فأنا معلمك ومعرِّفك، لا تخَفْ فإنك لا تنسىٰ. يعني به: أنَّ قلبك خزائنُ علمي ومعرفتي؛ لا تخف فإنك لا تنسىٰ، وقل ربِّ زدني علمًا، ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾، يعني: وقد شاء ربك بما علَّمك من القرآن والوحي وغيره.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يعني به القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقوم يقولون: إن القرآن في الصدور هو ممزوج به، فقد أخطأوا في ذلك، لأن القرآن هو صفة الله تعالىٰ، وصفاته لا تحلُّ في الأشياء المخلوقة كسائر الشيء بالشيء. ومن قال ذلك فهو حلولي.

وأقول: إن القرآن في الصدور، وهو بائن عن الصدور غيرُ ممزوجٍ به ولا محلول به، لأن الصدور مخلوقة والقرآن غير مخلوق، وما كان من صفات الله تعالىٰ فهو غير مخلوق، وما كان من صفات العباد فهو مخلوق.

وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فهو منسوب إلىٰ الصدور والصدر مخلوق. كذا الأركان الأربعة التي[1] هي معادن الأشياء [ق٧] التي ليس [بـ]ـمخلوق، وهو الإسلام والإيمان والمعرفة

---

(١) في الأصل: «الذي».

والتوحيد، ومعادنها التي هي منسوبة إليها وهي القلب والفؤاد والعين والصدر وهي مخلوقة. والإسلام منسوب إلىٰ الصدر وهو وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية [الزمر: ٢٢]، والإيمان منسوب إلىٰ القلب لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، والمعرفة منسوبة إلىٰ الفؤاد لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، والتوحيد منسوب إلىٰ العين لقوله تعالىٰ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، فهذه الأنوار الأربعة في صفات الله تعالىٰ وهو غير مخلوق، ومعادنها -المعادن المذكورة- مخلوقة.

فالقرآن في جميع الجهات، وكيفما يتصرف علىٰ لسان العربي والعجمي، وحيث ما تُلي، وكيفما فُسِّر= علىٰ كل حال هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وهو غير مخلوق.

وحفظ القرآن هو القرآن، فمن قال: حفظ القرآن غير القرآن، فقد كفر. ولا يجوز أن يقال: هذا القرآن مثل ذلك القرآن، ولا يقال: هذا القرآن شبه ذلك القرآن، بل هذا القرآن هو ذلك القرآن، والرب تعالىٰ واحد والقرآن واحد والدين واحد.

والقرآن لا يختلط بشيء من الأشياء، وهو متصل بلسان القارئ وهو منسوب إلىٰ القارئ، والقارئ منفصل عن القرآن؛ كما أن الإسلام متصل بالصدر والصدر منفصل عن الإسلام، وكذلك الإيمان متصل بالقلب والقلب منفصل عنه، والتوحيد متصل بالعين والعين منفصل عنه، وعلمه وقدرته متصل

بالعالَم والعالَم منفصل عنه، وكذلك القرآن متصل بصوت القارئ والقارئ منفصل مع صوته عن القرآن، وعلمه وقدرته تعالىٰ متصل بكل شيء بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وكل شيء منفصل عن علمه وقدرته، كما أن عين الوجه متصل بالنار الموقودة والنار منفصل عن العين، وكذلك شُعاع الشمس متصل بالعين والعين منفصل عن شعاع الشمس. هذا دليل المَثَل لا دليل القياس، بلسان أهل الإشارة لا بلسان أهل العبارة، لأن العبد يتبين في العبارة، ولا يتبين في حقيقة الإشارة، والإشارة من جهة الحقيقة، والعبارة من جهة الشريعة، والعبد إذا تبيَّن في الشريعة فهو العبد، وإذا تبين في الحقيقة فهو العارف، فإذا ظنَّ أنه عارف فليس بعارف، والقلوب صفة العبودية، وأنوار القلوب صفة الربوبية، والربوبية متصلة بالعبودية، والعبودية منفصلة عن الربوبية. هذا علمنا، والله أعلم بالصواب[١].

قوم يقولون: إن القرآن هو في الصدور، وأرادوا به أنه غير ممزوج به ولا محلول فيه، فقد أصابوا في ذلك.

ومن قال: إن القرآن ليس هو في الصدور ولا يثبت فيه، فهو معتزلي.

وقولنا في إثبات القرآن في الصدور، فهو كما وصفنا، لأنه في الصدر، والصدر منفصل عنه بدليل قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١- ٢٢]، فالصدر كاللوح وهما مخلوقان، وكما أثبت الله تعالىٰ أنه في

---

(١) وإن كان في بعض هذه الإطلاقات نظر، فإنّ قصد المؤلف تنزيه الله تعالىٰ وصفاته عن الحلول في المخلوقات.

اللوح المحفوظ فكذلك في الصدر محفوظ متَّصلٌ به والصدر منفصل عنه.
ألا ترىٰ أن الشمس والقمر مخلوقان، فإذا طلعا علىٰ الأرض أو علىٰ الماء أو علىٰ الشجر أو علىٰ الناس أو علىٰ غيره= لا يخالط بشيءٍ منه، فالشمس والقمر مخلوقان هكذا صفتهما، فكيف يختلط كلام الله بشيء مخلوق.

**والجهمية** ـ لعنهم الله ـ علىٰ أصناف مختلفة، منهم من يقول: إن القرآن ليس بكلام الله ولا مخلوق.

ومنهم من يقول: القرآن كلام الله، ولا يقول: مخلوق هو أم غير مخلوق[1].

فطائفة منهم يقول: إنه حكاية عن ذلك القرآن[2].

ومنهم من يقول: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة[3].

ومنهم من يقول: القرآن ليس هو كلام الله ولا هو مخلوق.

ومنهم من يقول: القرآن مخلوق.

---

(١) هؤلاء هم الواقفة الذين تواتر ذمُّ أئمة السلف لهم.

(٢) هؤلاء هم الكلابيَّة والأشعرية القائلون بالكلام النفسي، فالقرآن علىٰ زعمهم معنىٰ قائم بذات الله، ليس بحروف ولا آيات، ولا تكلم الله به، والقرآن اللفظي حكاية أو عبارة مخلوقة عن ذلك المعنىٰ القائم بالنفس.

(٣) هؤلاء هم اللفظية. قال أبو طالب أحمد بن حميد المُشكاني من أصحاب الإمام أحمد: قال لي أبو عبد الله: «صاروا ثلاثَ فرقٍ في القرآن»، قلت: نعم، هم ثلاث: الجهمية، والواقفة، واللفظية، فأما الجهمية فهم يكشفون أمرهم، يقولون: مخلوق. فقال: «كلهم جهمية، هؤلاء يستترون، فإذا أحرجتَهم كشفوا الجهمية، فكلهم جهمية». «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (٢١٩٧).

ومنهم من يقول: القرآنُ ظاهرَ العلم في قلوب المؤمنين، بالحقيقة ليس هو في صدور المؤمنين. ومنهم من يقول شبيه ذلك.

ومنهم من يقول: هذا القرآن مَثَل، ليس هو في صدور المؤمنين. ومنهم من يقول شبيه ذلك.

ومنهم من يقول: هذا القرآن مثل ذلك القرآن.

ومنهم من يقول: القرآن يختلط في بني آدم في لحومهم ودمائهم وغير ذلك.

ومنهم من يقول: [ق٨] القرآن مُحدث، والمعوذتين ليستا من القرآن بل هما دعاء(١).

ومنهم من لا يُكفِّر هؤلاء بل يسكت عنهم.

**فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية**، وهم كفارٌ زنادقة حلال القتل، ومن لا يكفّر هؤلاء الأصنافَ كلَّها فهو كافر زنديق حلال القتل.

قال: وقرأ أبو طالب أحمد بن حميد علىٰ أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فأشار بيده إلىٰ فمه ووضع سبَّابته علىٰ شفتَيه وقال: هذا اللفظ الذي لفظتَ به هو واللهِ كلامُ الله غير مخلوق(٢).

وعن الحسن قال: قال لي أبو عبد الله محمد بن جعفر القاضي(٣) قال:

---

(١) لم أجد لهذه الطائفة ذكرًا في كتب الملل والنحل.

(٢) هذا النص والنصان الآتيان نقول عزيزة عن الإمام أحمد، ولعلها كانت فيما لم يصلنا من «كتاب السنة» للخلال.

(٣) لم أهتدِ إلىٰ معرفته في أصحاب أحمد، فلينظر.

قرأت على أحمد بن محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى آخره ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقلت: هذا اللفظ الذي لفظتُه الساعةَ كلامُ الله؟ قال: نعم، من قال غير هذا فقد كفر.

وعن الحسن بن إسماعيل[1] أنه قال: قرأت على أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، قال: الذي قرأته والذي هو في اللوح المحفوظ واحد، وهو واللهِ كلام الله غير مخلوق.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]: فكلام الله من الله، ولا يكون من الله شيءٌ مخلوق[2].

وهو قديم لا مُحْدَث. ومن قال: القرآن محدَث، فهو معتزلي كافر بالله عَزَّ وَجَلَّ، لأن القرآن صفة القديم ولا يتباين صفته عنه[3].

---

(١) لعله الحسن بن إسماعيل بن الربعي، له ترجمة في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٤٩).

(٢) لم أقف عليه. ولو صحَّ لكان ـ والله أعلم ـ المراد بـ«مخلوق»: مفترى، كما يدل عليه سياق الآية، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في أثرٍ آخر لابن عباس.

(٣) وذلك أن القرآن لفظ ومعنى، والمعنى من علم الله، وعلم الله أزليٌّ كما أنه هو أزليٌّ، فلا يوصف علمه ـ والقرآن من علمه ـ بأنه محدَث. انظر: «سيرة الإمام أحمد» لابنه صالح (ص٦٩) و«السنة» لعبد الله (١-٣) و«السنة» للخلال (١٨٥٤، ١٨٦٤، ١٨٦٥) و«الإبانة الكبرى» (٢٣١٣، ٢٤٧٨).
وهذا لا ينفي أن الله يتكلَّم بصوتٍ وحرفٍ متى شاء. وبهذا الاعتبار أجاز بعضهم إطلاق المُحدَث على القرآن، فإن الله تكلَّم به وأوحاه بمشيئته بعد أن لم يتكَّلم به بعَينه. قال البخاري في كتاب التوحيد: «باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ و﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن

**فإن احتجت الجهمية** ـ لعنهم الله ـ بقوله تعالىٰ حيث يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء، وتحتج كذلك بمتشابه القرآن: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾(١) [الرعد: ١٦]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ [خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٢) [الأنعام: ١٠٢]، ونحو هذا.

**فالجواب** كما قال النبي ﷺ رواه عنه(٣) ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية علىٰ محمد ﷺ قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ سئل عن تفسيرها فقال ﷺ: «**خالقُ كل شيء، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فمن قال غيره فقد كفر**»(٤).

وقال النبي ﷺ: «**من استظهر القرآن سُمِّي حامل القرآن**»(٥).

---

= ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ: إن الله يُحدِث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث: أن لا تَكَلَّموا في الصلاة». وانظر: «النكت الدالة علىٰ البيان» للكَرَجي القصَّاب (٣/ ٥٢٠) و«مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (٦/ ١٦٠-١٦٢).

(١) في الأصل: «إن الله...»، سهو.

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل.

(٣) في الأصل: «عن»، تصحيف.

(٤) لم أقف عليه، ولكن لا شكَّ أنه موضوع، كنظائره من الأحاديث المرفوعة في الباب. انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٥١-١٥٤).

(٥) لم أقف عليه، ويغني عنه حديثُ أبي موسىٰ مرفوعًا: «إنَّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشَّيبة المسلم، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامِ ذي السلطان المقسط». رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧) وأبو داود (٤٨٤٣) وغيرهما.

وقال: «**لا يغرَّنَّكم المصاحفُ المعلقة، فإن الله تعالىٰ لا يُعذِّبُ في النار قلبًا**[١] **هو وعاء القرآن**»[٢].

قال أبو بكر عبد الله [بن] محمد بن النعمان[٣]، قال: أخبرني أبي، عن وكيع بن الجرَّاح أنه قال: من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن أسماء الله مخلوقة، ومن زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر[٤].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦][٥].

---

(١) في الأصل: «قلب».

(٢) أخرجه الدارمي (٣٣٦٢) وابن أبي شيبة (٣٠٧٠٢، ٣٥٨٧٧) بإسناد صحيح عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا عليه بنحوه.

**هذا، ووجه الاستشهاد بالحديثين**: أن النبي ﷺ سمَّاه «حامل القرآن» و«وعاء القرآن»، والقرآن هو كلام الله الذي تكلَّم الله به، ولم يقُلْ ﷺ: حاملُ حكاية القرآن أو وعاءُ حكاية القرآن، كما يلزم علىٰ مذهب اللفظية من الجهمية ـ ومثلهم الكُلَّابية ـ الذين قالوا: القرآن الذي هو كلام الله غير مخلوق، وأما اللفظ الذي نتلوه ونحفظه فليس هو ذاك القرآن، وإنما حكاية عنه. انظر: «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٢٨).

(٣) التيمي الأصبهاني، الثقة الزاهد هو (ت٢٨١) وأبوه (ت٢٤٤). انظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٢٤٨)، (٦/ ٧٦٨).

(٤) لم أجد من ذكره عن وكيع، ولكن قاله أيضًا الإمام أحمد، وهو من أصحابه وتلاميذه. أخرجه الخلال في «السنة» (١٧٩٣) وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٣٥٥، ٢٣٥٦، ٢٣٦١) وهبة الله الطبري في «شرح السنة» (٣٥١) من طرق عنه.

(٥) أورد الآية ردًّا علىٰ الجهمية اللفظية، فإنهم يزعمون أن لفظ القرآن الذي نتلوه ونسمعه ليس هو كلامَ الله، وإنما هو حكاية عن كلامه بلفظ مخلوق. انظر: «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٢٨، ٢٢٤٤، ٢٢٤٦، ٢٢٥٤).

حدث نصر الدمشقي[١]: قال كنتُ قاعدًا عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودخل عليه عمُّه وابن داود[٢] ـ لعنهم الله ـ فقالوا: لِمَ لا تقول: إن القرآن مخلوق؟ قال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكيف[٣] أقول إن القرآن مخلوق وقال الله عزوجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، ولو كان مخلوقًا لقال: الرحمن خلق القرآن خلق الإنسان، ولكنه وحيه وتنزيله وكلامه، فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر ـ فهو كافر[٤] ـ ومن شكَّ في كفره فهو كافر. قال: فما تقول باللفظ بالقرآن؟ قال: لفظنا بالقرآن هو القرآن، ومن شك في ذلك فهو كافر، ونعتقد حروف القرآن ليس[٥] بمخلوقة لأن الله تعالىٰ لم يزل متكلمًا، فمن اعتقد أن حروف القرآن مخلوقة فقد قال بخلق القرآن وهو كافر[٦].

○○○

---

(١) لم أجد له ذكرًا في أصحاب أحمد.

(٢) كذا، ولم أتبيَّنهما، إلا إذا كان الثاني هو ابن أبي دواد القاضي الجهمي.

(٣) في الأصل: «فكيف»، ولعل المثبت الصواب.

(٤) قوله: «فهو كافر» تكرار ناشز، ولعله كان اختلافَ نسخةٍ في الهامش، فأقحمه الناسخ.

(٥) كذا في الأصل.

(٦) لم أقف عليه بهذا السياق، ولكن استدلال الإمام أحمد بآية (الرحمن) علىٰ أن القرآن من علم الله، وأن العلم غير الخلق= منقول من غير وجه. انظر: «السنة» لابنه (٩٠) وللخلال (١٧٩٣، ١٨٧١، ١٨٨٩) و«الإبانة الكبرىٰ» (٢١٩٥) و«طبقات الحنابلة» (١/ ٤٣٨).

## باب القدر

والإيمان بالقدر خيره وشرِّه، حُلْوِه ومُرِّه؛ كلُّه بقضاء الله تعالىٰ وقدره علىٰ عباده في سابق علمه.

وقتلُ النفس المحرَّمة، وأكل الحرام، وشرب الخمر، والزنا، والشرك بالله تعالىٰ، والسرقة، والمعاصي= كلها بقضاء الله وقدره.

خَلَق الجنة وخلق أهلها وما هم عاملون، فلابد أن يعملوا. وخلق النار وخلق أهلها وما هم عاملون، فلا بد أن يعملوا. كذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال الله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات]، أي ما أنتم بمُضِلِّين [ق٩] أحدًا علىٰ الأصنام التي تعبدونها إلا من قُدِّر عليه أن يَصْلىٰ(١) الجحيم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، أي: يحول بين المؤمن وبين الكفر، ويحول بين الكافر(٢) وبين الإيمان(٣).

وقد عَلِم اللهُ الطاعةَ من أهلها، ولها خلقهم. وقد علم المعصيةَ مِن أهلها، ولها خلقهم. فكلٌّ عاملٌ لما خُلق له، وصائرٌ إلىٰ ما قُدِّرَ عليه.

---

(١) في الأصل: «يصل»، ولعله تصحيف عن المثبت، فإنه مقتضىٰ لفظ الآية.

(٢) في الأصل: «يحول بين المؤمن وبين الكافر، ويحول بين الكفر»، والمثبت هو مقتضىٰ السياق.

(٣) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك. «تفسير الطبري» (١١/١٠٨-١١٠).

يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذِّب من يشاء، ولله الحجةُ البالغة علىٰ خلقه، وهو الفعَّال لما يريد، ولا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون.

فمن أضاف إلىٰ نفسه شيئًا من الاستطاعة فقد أعظم علىٰ الله الفِرية، لأن العبد غيرُ مستطيعٍ لما قد عَلِم الله تعالىٰ منه أنه لا يفعله[1].

* وأنَّ ما شاء أن لا يكون لا يكون، وما شاء أن يكون يكون، فلا محالة أن يحلَّ بالعبد من الخير والشر والإيمان والكفر والهداية والضلالة والسعادة والشقاوة والموت والحياة والرشد والغي= من الله تعالىٰ[2]. والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ

---

(١) كما قال تعالىٰ عن الكفار: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، وهذه هي الاستطاعة الكونية التي بها يتحقق وجود الفعل، فهي منفية عمَّن لم يفعل. وهناك الاستطاعة الشرعية التي هي مناط التكليف بمعنىٰ سلامة الآلات، وهذه ثابتة لمن فعل ولمن لم يفعل، فإن الله لا يكلف أحدًا إلا ما استطاعه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٧١-٣٧٦).

ومقصود المؤلف هنا الرد علىٰ المعتزلة القدرية القائلين إن المكلَّف خالقُ فعلِه، له الاستطاعة والقدرة علىٰ الطاعة والمعصية علىٰ حدٍّ سواء، دون أن يكون الله قد يسَّره لإحداهما ووفَّقه لها وقدَّرها عليه.

(٢) كذا السياق في الأصل، ولم يأتِ فاعل «يحلّ»، ويصح لو كان: «ما قُدِّر له من الله تعالىٰ».

أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال عزَّ ذِكرُه: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨]، وقال عزَّ ذِكرُه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [النجم]؛ فدلَّ ذلك كلُّه علىٰ أنَّ كل ما يحل بالعبد من الخير والشر والإيمان والكفر والهداية والضلالة والسعادة والشقاوة هو من الله عَزَّوَجَلَّ.

**فإن قال مخالف** ويحتج بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

**فقُلْ**: إن الله سبحانه وتعالىٰ ما خلق الخلق لحاجته إليهم ولا لفاقته إلىٰ ما عندهم ولا انتصارٍ بهم علىٰ تحقيق الربوبية، إذ هو خالقهم ورازقهم والقادر عليهم، فإن لم يصلحوا لذلك هل يصلحون إلا لعبادته ليعرفوا حقَّ ربوبيته ويُقرُّوا له بعبوديته، إذ هو المنعم عليهم والمشقي لهم. ولكن الخلاف بيننا وبينكم أنكم رددتم القدرة إلىٰ العباد فقلتم: عَبَدوا الله من ذاتهم

لا بتوفيق الله إياهم لعبادته ولا بتقديره إياهم. ونحن نقول: إنهم لم يصلحوا أن يصِلوا إلىٰ عبادة الله إلا به وبما قدَّره عليهم ووفَّقه لهم، ولم يصلوا إلىٰ ذلك إلا بالله. والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠]، فأخبر عَزَّوَجَلَّ أنهم لا يصِلون إلىٰ الإيمان إلا به.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤].

فحدثنا أبو الحسن محمد الخطيب[١] بإسناده صحيحًا رفعه إلىٰ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنتُ عند رسول الله ﷺ إذ دخل قوم يتنازعون في القدر، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧-٤٩][٢].

وروي عنه ﷺ أنه قال: **«صِنفان من أمَّتي لا تنالُهما شفاعتي، وهما المرجئة والقدرية»**[٣].

---

(١) لم أتبيَّنه، إلا أن يكون «الحسن» تصحيفًا عن «الحسين»، فقد يكون: أبا الحسين محمد بن علي بن محمد العباسي الهاشمي البغدادي، الخطيب، المعروف بابن الغريق. كان ثقة زاهدًا، آخر مَن حدَّث عن الدارقطني وابن شاهين، توفي سنة ٤٦٥. انظر: «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٦) وأحمد (٩٧٣٦) والترمذي (٢١٥٧) وغيرهم، ولفظه: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فأنزل الله...».

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٩) وابن ماجه (٦٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٧٩) - واللفظ له - من حديث علي بن نزار، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس. وهذا إسناد =

وقال ﷺ: «يؤتىٰ بالقدرية يوم القيامة، زُرْقٌ عيونهم، سُودٌ وجوهُهم، قد أُدلِعت ألسنتُهم علىٰ أذقانهم، يسيل منهم اللُّعابُ، أنتن من الجيفة، يستقذرهم كلُّ من رآهم، فيقولون: ربنا إنَّا وحَّدناك كما وحَّدوا، وآمنَّا بك كما آمنوا، وعبدناك كما عبدوا؛ فيقول الله تعالىٰ: أتاكم الأمرُ من حيث لم تحتبسوا. وذلك في كتاب الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ وقالوا: لا نرىٰ ربَّنا ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف]»[1].

فدل ذلك علىٰ أن المعصية والطاعة كلها بيد الله تعالىٰ وقضائه وقدره في سابق علمه.

وسئل سهل بن عبد الله [ق١٠] عن القدر، فقال: القدر في سبع مراتب[2]: في اللسان والسمع والبصر واليدين والرجلين والقلب والفرج، حتىٰ صار إلىٰ طواحن القلب (وفي نسخة أخرىٰ: خواطر القلب)[3].

---

=

ضعيف جدًّا، علي بن نزار منكر الحديث.

وروي عن واثلة بن الأسقع وجابر بن عبد الله عند الطبراني في «الأوسط» (١٦٢٥، ٥٨١٧)، وعن أنس عند ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٣٠٥) وأبي نعيم في «الحِلية» (٩/ ٢٥٤)، ولكن كلُّها أسانيد واهية بمرَّة. وانظر: «الأباطيل والمناكير» (٣٤) و«العلل المتناهية» (٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩).

(١) لم أقف عليه، ونكارة المتن جليَّة.

(٢) غير محرر في الأصل، يشبه: «مرات».

(٣) كذا في الأصل، والظاهر أن الصواب: «خواطر القلب». وقول سهل لم أقف عليه.

قلنا: هذا كله بلاء من الله عَزَّوَجَلَّ، ومطالبة النفس، ووسوسة الشيطان.

والعقل للعبد يتولد منه الطاعات والتبرِّي[(١)] من المعاصي. وإن يتبرَّأ العبدُ من نفسه وعدوِّه ويتولَّ[(٢)] مولاه نجَّاه. وإن تولَّىٰ[(٣)] عقلَه واتبع هواه ورأيه وتدبيره= أغواه عدوُّه إبليس فهلك.

والأعمال الصالحة والطالحة منسوبة إلىٰ العباد كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقال ـ عزَّ اسمُه ـ في أهل النار: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، وكما قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وكذلك مما قال إخبارًا عن موسىٰ ﷺ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، فأضاف وسوسة الشيء إلىٰ الشيطان، ثم قال بعدما فعله: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص: ١٦]، فأضاف فعله إلىٰ نفسه.

وقال أيضًا ـ عزَّ ذِكرُه ـ إخبارًا عن يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال: ﴿فَنَادَىٰ فِى

---

(١) أي: التبرُّؤ، صيغ علىٰ غرار التجنِّي والتردِّي بعد تسهيل الهمز في الفعل.

(٢) في الأصل: «يتولاه»، ولعل المثبت أشبه.

(٣) في الأصل: «تولاه»، ولعل المثبت أشبه.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أضاف كذلك فعله إلىٰ نفسه.

وقال أيضًا إخبارًا عن آدم وحوَّاء عليهما السلام حين قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وسئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن القدر فقال: هو من الله خلقًا، ومن المخلوقين فعلًا؛ لا تسألَنَّ أحدًا بعدي[1].

* وأن الله تعالىٰ خلق الأشياء كلَّها محبوبَها ومكروهَها، وشاء أن يكون لها وعليها ثوابًا وعقابًا[2]. ولو شاء أن لا يُعصَىٰ لكان قديرًا مقتدرًا علىٰ ذلك، ولم يكن يخلق إبليس ـ ولكن خلقه ـ ولا خلق النار كذلك، ولا عَمَّر إبليس إذ خلَقَه ولم يُطِلْ[3] عمره؛ فهو رأس الشرِّ كله، ولكن الله خلقه وهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا رادَّ لقضائه ولا مُعقِّب لحكمه، وهو الفعَّال لما يريد، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، والخلق كلُّهم مجازون بأعمالهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾، فعمَّ بدعوته الخلقَ أجمع، ثم قال: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]، فخص [بـ]ـالهدىٰ من شاء.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) كذا في الأصل، والوجه الرفع.

(٣) في الأصل: «يطيل».

ثم قال: من يعمل خيرًا وجب عليه الشكرُ لله عَزَّوَجَلَّ لقضائه عليه ورحمته وفضله[1]، ليستوجب بذلك[2] المزيد. ومن أساء[3] وجب عليه الاستغفار والندامة علىٰ ما كان منه، ليستوجب بذلك العفو والغفران.

قال ـ جلَّ جلالُه ـ في إتيان[4] السِّحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، والإذن[5] هو المشيَّة بعد إتيان السحر، ولا يعمل إلا بمشيَّةٍ. والسحر أيضًا من الشر.

وما كان من التزيين في قصة الشيطان قال الله تعالىٰ: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النحل: ٦٣]، وكذلك من التزيين في صفاته ـ جل وعلا ـ في معنىٰ المشيَّة، [كما في] قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤]، أي[6]: شئنا= فهو من الله المشيَّةُ، ومن الشيطان الأمر.

فالسكون والحركات، والأخذ والعطاء، والظاهر والباطن، والشِّرىٰ والبيع، والدنيا والآخرة، والبلاء والعافية، وكلُّ حسن جميل في القول والفعل ينسب إلىٰ

(١) في الأصل: «لفضله» دون واو العطف، ولعل المثبت أشبه.
(٢) في الأصل: «يستوجب لذلك»، والمثبت أشبه علىٰ غرار ما سيأتي في مقابله.
(٣) في الأصل: «أسىٰ»، ويمكن قراءته: «أُنسي» أي: عمَلَ الخير. وللمثبت نظير في أول الرسالة حيث رسم «الإماء»: «الامَي».
(٤) في الأصل هنا وفي الموضع الآتي: «تبيان»، ولعله تصحيف عن المثبت.
(٥) في الأصل: «والأدب»، تصحيف ظاهر.
(٦) في الأصل: «ان»، ولعل المثبت أشبه.

الله تعالىٰ. ويُنسب إلىٰ إبليس والشيطان كلُّ فاحشةٍ، وكلُّ رديء في الأصل والفرع، وكلُّ قبيح في القول والفعل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقيل: إن الإيمان بالقدر خيره وشره فرض، والسكوت عنه وترك الجدال والخصومات فيه سنة، والكلام عند المخالف بدعة[١].

وقال سهل بن عبد الله: مَن تكلَّم بالقدر بعد الإيمان به بلسانه وعقدٍ عليه بقلبه عقدًا صحيحًا فقد خرج من السنة[٢]، لقول النبي ﷺ حيث قال: «**حرَّمتُ علىٰ أمتي أن يدخلوا في القدَر**»[٣]. وقال ﷺ: «**إذا ذُكِر القدَرُ فأَمسِكوا، وإذا ذُكِر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكِر أصحابي فأمسكوا؛ فإنه من سنتي**»[٤]. ومن فارق السنة فقد فارق الإسلام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ

---

(١) قاله سهل بن عبد الله التُّستَري، ولفظه: «الإيمان بالقدر فرض، والتكذيب به كفر، والكلام فيه بدعة، والسكوت عنه سنة». أسنده هبة الله الطبري في «السنة» (١٣٢١).

(٢) لعل هذا منتهىٰ قول سهل التُّستري. ولم أقف عليه.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٨٥) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٣١) ـ عن ابن عمر. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٠٨) ـ ومن طريقه في «العلل المتناهية» (٢٣٦) ـ عن أبي هريرة. ولفظ الحديثين الواهيين: «عزمةٌ ـ أو: عزمتُ ـ علىٰ أمتي أن لا يتكلموا في القدر».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «أماليه» (٥١) عن مَعمر عن ابن طاوس عن أبيه مرفوعًا، وليس فيه: «فإنه من سنتي». وهو مرسل صحيح الإسناد. وقد روي مسندًا من حديث ابن مسعود وابن عمر وثوبان وأبي ذر، ولكن أسانيدها واهية، وأمثلها حديث ابن مسعود، حسَّنه الحافظ، وقوَّاه الألباني بمرسل طاوس. انظر: «أنيس الساري» (٢٤٠) و«الصحيحة» (٣٤).

[ق١١] ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، قال: اهتدىٰ للسنة[١].

واعلموا أنه لا يخلو شيءٌ من مشيَّة الله تعالىٰ، ومشيَّةُ الله علىٰ وجهين:

- مشية الطاعة، وهي مفروضة علىٰ عباده، وهي مشيئة[٢] الرحمة والرضا.

- ومشية المعصية، وهي السخط، ليس هي مشيَّة الرضا، ولكنها مشيَّة التخلي والترك والخِذلان واستيلاء الشيطان حتىٰ زيَّن في أعينهم الأعمال الرديَّة لقوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية [النمل: ٢٤].

ألا ترىٰ ما قال إبراهيم ﷺ حين دعا ربه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فدل أنَّ الخير والشر من الله سبحانه، وهو الذي يَجْنُبُ العبدَ ويعصمه من الشر، ولا قوة للعبد علىٰ ذلك إلا بعون الله وتوفيقه، والعبد لا يستغني عن الله طرفة عينٍ حيًّا وميتًا في الدنيا والآخرة، ومتىٰ وُكِل إلىٰ نفسه هلك.

ومن زعم أن الله تعالىٰ شاء أن لا يأكل آدمُ وحوَّاءُ من الشجرة، وإنما كان أكلُها[٣] من إبليس لعنه الله، وهو حملهما علىٰ ذلك دون مشيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، أو زعم أن دخول إبليس الجنةَ بغير مشية الله تعالىٰ، أو قال: خروج آدم من الجنة وما قضىٰ الله عليه وعلىٰ ذريته من الموت والحياة والشدَّة والرخاء مما أحدث عليهم إبليس لعنه الله= فأيُّ افتراءٍ أعظم علىٰ الله من ذلك؟!

---

(١) روي تفسير الاهتداء بلزوم السنة عن سعيد بن جبير وشِمْر بن عطية الأسدي (من أتباع التابعين). أخرجه عنهما هبة الله الطبري في «السنة» (٧٢، ٧٣).

(٢) هكذا كتبه في هذا الموضع، بإثبات النبرة (الهمزة).

(٣) كذا في الأصل علىٰ أن الضمير للشجرة، ويحتمل أن يكون صوابه: «أكلهما».

وإنما هلك مَن هلك من القدرية والمعتزلية[١] لأنهم قاسوا أمر الله تعالىٰ وأفعاله بأفعال الخلق[٢]، فما استحسنوها من الخلق استحسنوها من الله عَزَّوَجَلَّ ورأوها عدلًا، وما استقبحوا من خلقه استقبحوها من الله وجعلوه جَورًا، والله تعالىٰ لا يُقاس بحال من الأحوال ولا بشيء من الأشياء بخلقه، ولا يُشبَّه هو بهم، ولا تُقاس أفعاله بأفعالهم ولا شيءٌ من صفاته بصفاتهم، ولا يقاس هو ـ تعالىٰ ذكره ـ لأنه مالكٌ لرقاب الخلق يفعل فيهم ما يشاء، لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه.

**ويقال للمخالف:** ما قولك في رجل له عبد مطيع مسارع لأمرِ مولاه في كل ما يأمره به، قانع بكل ما يولِّيه ويسند إليه، فأخذ المولىٰ ذلك العبد فيكسر يدَيه ورجلَيه أو إحداهما أو يفقأ عينَيه أو أحدهما[٣]؟ ما قولكم في ذلك المولىٰ فيما يفعل بهذا العبد المطيع القانع؟

فإن قالوا: ظلمه، فقل: هل يُساغ هذا القول في الله؟ أو هل يجوز لأحد أن يقول فيه شيئًا[٤] مما يقال في المخلوقين؟ ألا يعلمون أن الله تعالىٰ قد فعل مثل هذا أو يفعل بالمطيعين من عباده وخاصَّته؟ كما فعل بأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما ابتلاه، وفي كثير من الأنبياء والصالحين صلوات الله عليهم أجمعين ابتلاهم الله بأنواع البلايا وكانوا مطيعين. وهو تعالىٰ المحمود علىٰ السراء

---

(١) كذا في الأصل، وسيتكرر مثله في مواضع أخرىٰ.

(٢) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هلكت القدريةُ حتىٰ صاروا زنادقة وملحدة ومجوسًا حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبَّهوا الله بخلقه». «الإبانة الكبرىٰ» (١٣٨٠).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في الأصل: «شيء».

والضراء، ولا يُحمَد على الضراء غيرُه. فمن فعل شيئًا[1] من ذلك من المخلوقين حكم الله عليه بالجزاء والقصاص كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]. والله يقضي في خلقه ويُحدث فيهم كلَّ يوم مثل ذلك كثيرًا، ويقتل منهم بالشدائد والأمراض والعلل والبلايا الكثيرة؛ هل يقع على الله تعالى في شيء من ذلك مطالبة أو قصاص أو تبعة؟ أو هل يجوز أن يقال فيه ما يقال في المخلوقين: إنه ظالم؟ فكيف يقاس هو بغيره؟!

**ويقال لهم أيضًا** في رجلٍ له عبد فاسق رديء، واقع في مولاه، مخالف له في كل ما يأمره به، والمولى قادر على إصلاحه فلا يصلحه.

فإن قالوا: بئس ما فعل، فقل لهم: ألستم تعلمون أن الله تعالى قادر على إصلاح الخلق أجمعين فلا يصلحهم، لأن فيهم علمَه وسرَّه؟ فهل يجوز أن يقال فيه: بئس ما فعل، إذ هو يقدر على إصلاحهم ولا يفعل.

**وما قولكم** في رجل له عبد يأمره مرَّةً وينهاه أخرى وهو عالم بأنَّ العبد لا ينتهي عمَّا يأمره وينهاه، فيكرِّر[2] عليه بالأمر والنهي مرةً بعد مرةٍ أخرى والعبد مقيم على عصيانه، ويعلم المولى أنه لا يأتمر بأمرٍ ولا ينتهي عمَّا ينهاه وهو على يقين منه؟

فإن قالوا: هَذَيان، فيقال لهم: فهل يجوز أن يقال في الله عَزَّوَجَلَّ مثل هذا

(١) في الأصل: «شيء».

(٢) في الأصل: «فيكون»، تصحيف، وسيأتي قريبًا: «وقد كرَّر عليهم القول».

القول وقد علمتم أن الله تعالىٰ قد عرف[١] من الكفار والمنافقين أنهم لا يعملون[٢] بما يأمرهم به ولا ينتهون عن مناهيه، وقد كرَّر عليهم القول.

**ويقال لهم** في الأطفال [ق١٢] الذين لم يبلغوا الحُلُم في اكتساب الآثام، وكذلك البهائم، وما يصيبها من العلل والأمراض والشدائد والجوع ولا ذنب لهم ولا تبعة عليهم: هل يتهيأ أن يقال لله تعالىٰ إنه ظلمهم فيما يبتليهم به من العلل والأمراض؟

**ويقال لهم أيضًا**: هل شاء الله من الكفار الإيمان؟ فإن قالوا: بلىٰ، شاء منهم مشيَّةَ ابتلاءٍ لا مشيَّةَ خيرٍ، فيقال لهم: هل كان ما شاء؟ فإن قالوا: لا، فقد ردُّوا علىٰ الله، لأن الله تقدَّست أسماؤه قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٣] [هود: ١٠٧]: فعَّال لما يشاء.

فهذا دليل علىٰ أنَّ الله تعالىٰ لا يُقاس بخلقه ولا أفعاله بأفعالهم، لأنه لا شريك له ليس كمثله شيء.

وقال قوم من الجبرية ـ وهم أناس من القدرية[٤] ـ: ليس لنا ولا إلينا من الأفعال شيء، إنما نحن وجوارحنا كلُّها وكلُّ شيء منا مثلُ اليدين والرجلين

---

(١) كذا، ولو عبَّر بـ«عَلِم» لكان أولىٰ.

(٢) في الأصل: «لا يعلمون»، تصحيف.

(٣) في الأصل: «إن الله فعال لما يريد».

(٤) لأن القدرية ـ وهم من ضلَّ في مسألة القدر ـ نوعان: القدرية المعتزلة، ويقال لهم القدرية المجوسية والقدرية النفاة، وقد سبق رد المؤلف عليهم. ويقابلهم: القدرية الجبرية، ويقال لهم: القدرية الجهمية، لأن جهمًا كان يقول بالجبر.

وجميعُ الأعضاء وحركاتُنا فيها[١] هو من الله، لا نقدر علىٰ تحريكها بالمعاصي إلا به[٢]، فأضافوا إلىٰ الله تعالىٰ جميع الأشياء التي تكون منهم من الفواحش والمعاصي والقبائح والمناكير كلها علىٰ جهتها، وجعلوا المشيَّة، والفعل، والرضا والمحبة شرعًا واحدًا[٣].

وقال أناس منهم: ليس إلىٰ الله شيء من أفعالنا، إنما الأشياء كلها سببٌ، والأسباب كلُّها إلينا وفينا، ونحن السبب، وقد رَكَّب فينا الاستطاعةَ والقدرة، فإن شئنا استعملناها في المعصية وإلا في الطاعة. ومن قال كذلك فقد قال بالاستغناء عن الله تعالىٰ بزعمه، وأضافوا المشيَّة والأفعال والعقل إلىٰ أنفسهم.

وفيما بين هذا القول والقول الأول مقالة القدرية والجبرية[٤]، وكلاهما [قول باطل][٥].

وقيل لسهل بن عبد الله: ما الصواب من هذه المقالات؟ قال: مَن خرج من هذه المقالات وأضاف الخيرات كلَّها إلىٰ الله تعالىٰ، ويعلم أنها منَّة من

---

(١) في الأصل: «فيهما»، ولعل المثبت أشبه.

(٢) كذا في الأصل، وكان الأولىٰ أن يُقال ـ والكلام في تقرير قول الجبرية ـ: «لا يقدر علىٰ تحريكها بالمعاصي إلا هو».

(٣) أي: لم يفرقوا بين مشيئة الله وفعل العبد من جهة، وبين مشيئة الله ومحبته ورضاه من جهة أخرىٰ؛ فقالوا بناءً علىٰ الأول: ما شاء الله وقوعه من أفعال العباد فهو سبحانه الفاعل له حقيقةً وليس العبد، وقالوا بناءً علىٰ الثاني: كل ما شاء الله وقوعه ـ ولو من المعاصي والقبائح ـ فإن الله يحب ذلك ويرضاه.

(٤) أي: مقالات القدرية والجبرية دائرة بين هذا القول والقول الأول.

(٥) زيادة مقترحة لإقامة السياق.

الله عليه ورحمة، ويضيف المعاصي والفواحش وفعل المساوي والقبائح إلىٰ نفسه وإلىٰ إبليس والشيطان بعد أن يتحقَّق أنَّ ذلك بمشيَّة الله عَزَّوَجَلَّ في تركه[١] وخذلانه، ويعلم أن لو شاء اللهُ لعصمه مِن ذلك كلِّه كما عصم غيرَه، فليلتجئ إلىٰ الله سبحانه ويسأله الخلاصَ من هذه الاستطاعة[٢].

وسئل أمير المؤمنين[٣] عن القدر خيره وشره، فقال: سرُّ القدر من سر الله، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله تعالىٰ؛ مختومٌ بخاتم الله، سابقٌ في علم الله تعالىٰ، منطوٍ[٤] في حجاب، مكنونٌ في ظل عرش الله تعالىٰ، مرفوع في علم الله تعالىٰ، قد وضع الله عن العباد معرفته، فهو وَقْفُ رأيِهم ومَبلَغُ عقلوهم، لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بعظمة الفردانية ولا بقدرة الصمدانية، لأنه بحر الله خالصًا، عَرْضُه ما بين المشرق والمغرب، وعمقُه ما بين السماء والأرض، أسود كالليل الدامس، كثير الحيَّات والحيتان، في قعره شمس مضيَّة، ينبغي أن لا يراها إلا الله تعالىٰ الحي القديم[٥]، فمن ظنَّ أنه يَطَّلع عليه فقد حادَّ الله في ملكه ونازعه في سلطانه، وفتَّش عن سرِّه وكشف عن ستره، فباء بغضب من الله تعالىٰ ومأواه جهنم وبئس المصير[٦].

---

(١) في الأصل: «تركته».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) المراد: علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما في مصدر التوثيق.

(٤) في الأصل: «منطوي».

(٥) كذا في الأصل، ولعله تصحيف عن «القيوم».

(٦) ذكره أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٥/ ١٨٩) باختلاف يسير. ولفظ الأثر ـ كما لا يخفىٰ ـ أشبه بأصحاب الإشارات من الصوفية منه بالرعيل الأول.

وروي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال داود بن [أبي] هند رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنَّ عزيرًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سأل الله تعالىٰ عن القدر، فقال: لا تسألني عن علمي، وإلا جعلتُ عقوبتك أن لا يُذكرَ اسمُك في الأنبياء[1]. وأن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سأل الربَّ سبحانه عن القدر، فقال: لا تسألني عن علمي[2].

وقال بعضهم: المؤمن قد نوَّر اللهُ قلبَه وأكمل عقلَه ورزَقه اليقين، فلا يشكُّ في إثبات المشيَّة والقدر، ويعلم أن الله تعالىٰ يُحدِث الأشياء كما يشاء لما يشاء كيف شاء، ولا يَحدُث عليه الحوادث، ويعلم أن ما كان ويكون من خلقه أجمعين، فلا يحدث شيء في ملكه إلا بمشيَّته وعلمه وتقديره، ويعلم أن الله تعالىٰ لا يُعصَىٰ بالغلبة، ولو شاء ما عصاه إبليس ولا أحد[3] من خلقه، ولكن شاء الله تعالىٰ أن يكون له ثوابًا[4] وعليه عقابًا، رحمةً[5] علىٰ قوم وسَخْطةً علىٰ قوم، من غير حاجةٍ إلىٰ الفريقين.

---

(١) أسنده الفريابي في «القدر» (٣٣٣) ـ وعنه الآجري في «الشريعة» (٥٣٣) ـ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣٩) بنحوه. وداود بن أبي هند من صغار التابعين الثقات بالبصرة. وهذا من الإسرائيليات، وقد روي نحوه عن التابعي الإسرائيلي نوف البِكالي ـ ابن امرأة كعب الأحبار ـ أيضًا، أخرجه الفريابي (٣٣٤) والآجري (٥٣٤).

(٢) أسنده عبد الله بن وهب في «القدر» ـ ومن طريقه ابن أبي زمنين في «السنة» (١٢٤، ١٢٥) وابن عساكر في «التاريخ» (٤٠/ ٣٣٤) ـ عن حفص بن ميسرة عن رجاء بن سويد وسفيان الثوري بمعناه.

(٣) في الأصل: «أحدًا».

(٤) كذا في الأصل بالنصب.

(٥) في الأصل: «رحمته»، ولعل المثبت أشبه.

[ق١٣] فالمؤمن لا يستعمل بالرأي[1] والقياس والعقل والكلام، ويستعمل بما في الكتاب والسنة، ويتبع لقول الرسول ﷺ، ويأخذ دينه من الثقات ويتبِّع آثار خواصِّ النبي ﷺ [و]خواص التابعين الأخيار، ولا يأخذ في شيء من أمر دينه بالقياس والعقل، فلا يثق بعقله ورأيه في اختيار دينه، بل يختار الأثرَ ويعمل به، ولا يأخذ دينه إلا عن الثقات من أهل المعرفة والعلم والورع ومن يخاف الله تعالىٰ، ويستعمل العلم في نفسه، فيعلم عند ذلك أنه عالم قد نفعه علمه.

ومن المحالات [أن] يسأل الطبيبُ العليلَ عن علّته وأن يسأل العالمُ الجاهلَ الذي لا ينتفع بعلمه ولا يُرَىٰ أثره في شيءٍ من عمله[2]، ولا يأخذ الدين إلا عمَّن يصلح أن يكون بينه وبين الله حجةً. فإذا أعياكم ذلك فعليكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعليك بالاقتداء بالموتىٰ إذا لم تجد في الأحياء من تقتدي به، وعليكم بالنظر في كتب الصالحين، وتدبروا ما فيها واستعينوا بالله فاجتهدوا في طلب من يُرشدكم ويعلِّمكم سبل الهدىٰ، فإنه خير معين ومستعان.

وإياكم والقياس في شيء من الأشياء، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكل نبيَّه ﷺ - وهو أفضل الخلق وأكملهم عقلًا وأحسنهم قيامًا واختيارًا - إلىٰ قياسه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[3] [المائدة: ٤٨] ولم يقل: فاحكم

---

(١) كذا في الأصل، أي: لا يعمل بالرأي. وكذا في الموضع الآتي.

(٢) في الأصل: «ولا يُرَىٰ أثر في شيء من علمه»، ولعل المثبت أشبه.

(٣) في الأصل: «فاحكم بما أنزل الله إليك»، سهو.

بينهم بما رأيت.

ويروىٰ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إنا نقتدي ولا نعتدي، ونتَّبع ولا نبتدع، وإن أفضل ما يُتمسَّك به الأثر(١)، وإياكم ومفارقة الأثر في شيء من أمر دينكم ودنياكم فتهلكوا.

وسئل سهل بن عبد الله عن القدر فقال: لا يُطلِع الله علىٰ القدر أحدًا، وذلك أن مَثَل القدر كمثل ذات الله، وكما أنَّ الخلق لا يعلمون كيف ذات الله كذلك لا يعلمون كيف القدر من الله تعالىٰ(٢).

هذا براءة من قول القدرية وما يتشعَّب من مذاهبهم.

○○○

---

(١) إلىٰ هنا أخرجه هبة الله الطبري في «شرح السنة» (١٠٥، ١٠٦) وأبو إسماعيل الهروي في «ذمّ الكلام» (٣٣٧)، ولفظه عندهما: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر».

(٢) لم أقف عليه.

# باب الإيمان

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الإيمان علىٰ أربع دعائم: قول باللسان، وعمل بالأركان، ونية بالقلب، واتباع السنة ـ وهي إصابة الحق ـ، فإذا اكتملت هذه الأربعة بشرائطها باطنها وظاهرها فهو كمال الإيمان(١).

وقد روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما قالا: لا ينفع القول إلا بالعمل، ولا ينفع العمل إلا بالقول، ولا ينفع القول والعمل إلا بالنية، ولا ينفع القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة(٢).

وموافقة السنة إصابة الحق، وهو النور الذي قد خص الله به أهل المعرفة الذين خصهم الله بنور المعرفة واليقين، وهو النور الذي تصح به الأعمال، وتكمل به الطاعات، ويرتقي به أهل المعرفة في الدرجات، وقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه فقال عز من قائل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢٥٧) وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١١٧٣) عن عبد الكريم الجزري ـ وهو من صغار التابعين ـ عنهما مرسلًا. وهذه العبارة مستفيضة عن أئمة السلف، رويت عن الحسن البصري وسعيد بن جبير وغيرهما. وعن سفيان الثوري قال: «كان الفقهاء يقولون». انظر: «الشريعة» (٢٥٨)، و«الإبانة الكبرىٰ» (١١٧٤، ١١٨٥، ١١٩٦)، و«أصول السنة» لابن أبي زمنين (١٣٣، ١٣٤)، و«شرح السنة» لهبة الله الطبري (١٨، ٢٠).

أيضًا: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال النبي ﷺ في أخباره: «**إنَّ النُّورَ إذا سَكَن القلب انفسح له القلب وانشرح له الصدر**»(١).

وقال النبي ﷺ في حديث حارثة: «**من سرَّه أن ينظر إلىٰ رجل قد ملأ الله قلبه بالإيمان فلينظر إلىٰ حارثة**» حين قال: «**كيف أصبحت؟**»، قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال النبي ﷺ: «**إن لكل حقٍّ حقيقةً، فما حقيقةُ إيمانك؟**»، فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوىٰ عندي حجرُها ومَدَرُها وذهبها، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي عَزَّوَجَلَّ بارزًا، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يُعذَّبون(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم**

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٤١-٥٤٣) عن أبي جعفر المدائني -وهو متروك- مرسلًا. وروي موصولًا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طرق، كما عند الطبري والحاكم (٤/ ٣١١) وغيرهما، ولكنها لا تثبت، والصواب المرسل. انظر: «علل الدارقطني» (٨١٢)، و«الضعيفة» للألباني (٩٦٥).

(٢) روي هذا الحديث علىٰ أوجه، أشبهها بما هنا: حديث أبي هريرة عند ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٦٤) في ترجمة «أحمد بن الحسن بن أبان المضري» الذي وصفه بأنه كذَّاب دجَّال. وروي نحوه من حديث أنس عند البزار (٦٩٤٨) والبيهقي في «الشعب» (١٠١٠٦)، ولكن في إسناده يوسف بن عطيَّة، وهو متروك.
ورويت القصة بنحوها لـ«الحارث بن مالك الأنصاري» من طرق أكثرها مرسلة ومعضلة، ورويت من حديث الحارث نفسه عند الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٦٦) والبيهقي في «الشعب» (١٠١٠٧)، ولكن إسناده ضعيف، فيه ابن لَهِيعة، وراوٍ آخر مجهول.

**اجعل لي نورًا في قلبي، ونورًا في بصري، وزدني نورًا إلىٰ نوري**»[1]. والأخبار في ذلك تكثر.

وهو النور الذي يُصاب[2] به الحق، وتصح به الأعمال، وتَزْكىٰ[3] به عند الله لأهلها، ويستوجب له الثواب عند الله تعالىٰ. [ق١٤] وهو مخصوص من الله تعالىٰ لمن شاء من عباده لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

## فصل

ثم إن الناس في الإيمان متفاضلون لقول النبي ﷺ: «**لو وُزِن إيمان أبي بكر** ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ **علىٰ**[4] **إيمان أهل الأرض لرجَحَ إيمانُ أبي بكر علىٰ إيمان أهل الأرض جميعًا سوىٰ النبيين والمرسلين. ولو وُزِن إيمان عمرَ بنِ الخطاب** ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ **علىٰ إيمان أهل الأرض جميعًا لرجَحَ إيمانُ عمرَ علىٰ إيمان أهل الأرض سوىٰ النبيين والمرسلين وسوىٰ أبي بكر. ولو وُزِن إيمانُ عثمانَ** ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ **علىٰ إيمان أهل الأرض جميعًا لرجح إيمان عثمان** ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ **علىٰ إيمان الخلق سوىٰ النبيين والمرسلين وأبي بكر وعمر** ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ. **ولو وُزِن**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٦) ومسلم (٧٦٣) بلفظ: «واجعل لي نورا» في آخره، وفي رواية عند مسلم: «وعظِّم لي»، وفي أخرىٰ: «وأعظِم لي»، وفي رابعة: «واجعلني». وأما «وزدني نورًا» فعند البخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٦) والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٠٥).

(٢) في الأصل: «يصب».

(٣) كذا في الأصل، و(زكِي يزكَىٰ) لغة في (زكا يزكو).

(٤) كذا في الأصل، وقد روي في المصادر علىٰ وجهين: «وُزن بـ» و«وُضع علىٰ».

**إيمان علي ـ كرم الله وجهه ـ على إيمان أهل الأرض لرجح إيمان عليٍّ على إيمان أهل الأرض سوى النبيين والمرسلين وسوى أبي بكر وعمر وعثمان** ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ»(١).

فهذا دليل على أن الناس في إيمانهم يتفاضلون، وكذلك في التوحيد. ثم إن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

ولا تكون الزيادة إلا من نقصانٍ يقع فيه [بـ]معصيةٍ يفعلها، ويزيد بالطاعة التي يصنعها، والدلالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فدل ذلك على(٢) أن الإيمان يزيد بالتقوى وقوة(٣) اليقين.

---

(١) لم أقف عليه بتمامه، وإنما المروي: «لو وُزن إيمانُ أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم» موقوفًا ومرفوعًا. أما الموقوف فأخرجه عبد الله في «السنة» (٧٩٦) ومعاذ بن المثنى في زياداته على «مسند مسدد» ـ كما في «المطالب العالية» (٣٨٧٥) ـ والبيهقي في «الشعب» (٣٥) عن عمر رضي الله عنه موقوفًا عليه بإسناد صحيح.
وأما المرفوع فعند ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٥٤٧، ٨/ ٢٦١) وهبة الله الطبري في «السنة» (٢٤٣٢) من حديث ابن عمر، ولا يثبت. انظر: «الضعيفة» (٦٣٤٣).

(٢) في الأصل: «عليه».

(٣) في الأصل: «قوته».

والدليل علىٰ أنه ينقص قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، فنقلهم من اسم الإيمان إلىٰ اسم الفسق لنقصان إيمانهم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فنقلهم من اسم الإيمان إلىٰ اسم الكفر والظلم والفسق لنقصان إيمانهم.

وقد قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا ينتهب حين ينتهب وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[(١)].

فنقلهم عن الإيمان بأفعالهم إلىٰ الإسلام، ولم يخرجوا من أحكام الإسلام والمسلمين.

۞۞۞

والإيمان: ما[(٢)] كان من صفات الله تعالىٰ فهو غير مخلوق، وما كان من أفعال العباد فهو مخلوق[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه.

(٢) في الأصل: «وما»، وقد سبق علىٰ الصواب في (ص١٦).

(٣) هذه هي مسألة: هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ والصواب: التفصيل الذي أشار إليه المؤلف، فإن كان المرادُ بالإيمانِ: المُؤْمَنَ به، فأسماء الله تعالىٰ وصفاته غير مخلوقة، وإن كان المراد: فعل العبد، فهو مخلوق. وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦٦٤).

فأما الذي هو من صفات الله تعالىٰ [...][١] فهو الإقرار باللسان يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وعقد بالقلب يعني التصديق في القلب، لأن الإيمان بغير التصديق بالقلب لا يصح، لأنه لا تصح الشهادة إلا بالعيان على الشيء وأهلُ المعرفة والتوحيد به شاهدوه بالقلب وأقروا له باللسان. كما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنّي لا أعبد ربًّا لا أراه[٢].

وقال النبي ﷺ حين سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإحسان فقال: «**اعبُد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فاعلَمْ بأنه يراك**»[٣].

وقد قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الإيمان لا بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه شيء وقر في قلبي ونطق به لساني وأخلص به جوارحي[٤].

---

(١) الظاهر أن هنا سقطًا، لأن الإقرار باللسان والتصديق بالقلب من أفعال المخلوقين، لا من صفات الله. أو لعله يقصد أن «لا إله إلا الله» و«محمد رسول الله» من كلام الله تعالىٰ في القرآن، فهو بهذا الاعتبار غير مخلوق، لأنه من كلام الله، وكلامه من صفاته. انظر: «جامع المسائل» لشيخ الإسلام (٧/ ٧٦ وما بعدها).

(٢) لم أقف عليه مسندًا. قد ذكره الطيبي في «فتوح الغيب» (٥/ ٥٥) والآلوسي في «روح المعاني» (٣/ ٧٣)، وزادا فيه: «ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان، ولكن رأتْه القلوبُ بحقائق الإيمان». وقبلهما بقرون ذكره ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (١/ ٧٤) منسوبًا إلىٰ «محمَّد بن عليّ، أو ابنه جعفر بن محمَّد».

(٣) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه.

(٤) لم أقف عليه من قول أبي بكر، وإنما روي نحوه عن الحسن البصري، ولفظه: «ليس

وحُكي عن الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في مناجاته[١]:

قد تحقَّقتُك في قلـ ... ـبي وناجاك لساني

والمؤمنون شاهدوه بما له لا بما لهم، لأنه صفته وصفته غير مخلوقة.

ومن قال: إن الإيمان مخلوق جملةً واحدةً، فقد كفر[٢].

وعن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] [قال: من يكفر بالله[٣]. فهذا الإيمان غير مخلوق، بخلاف أفعال العباد كاعتقاد القلب وعمله][٤]، والعمل بالجوارح كالصلاة والصيام والحج والجهاد وسائر الأعمال، لأن العبد مع صفته وسكونه

---

=

الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقته الأعمال». أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٩٨٨) وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١١٧٨، ١١٧٩) والبيهقي في «الشعب» (٦٥).

(١) ذكره للجنيد مع ثلاثة أبياتٍ أخرىٰ من مجزوء الرمل: القشيري في «الرسالة» (ص٢٥٣). ورواها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٩٣) للحلاج.

(٢) لأنه بذلك يكون لم يفرق بين ما هو من كلام الله تعالىٰ كقول «لا إله إلا الله» وبين ما هو من أفعال المخلوقين، فجعل كلَّه مخلوقًا، وذلك يقتضي أن نفس هذه الكلمة مخلوقة لم يتكلم الله بها، وهذا كفر. انظر: «جامع المسائل» لشيخ الإسلام (٧/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٠، ١٥١). وقصد المؤلف بذلك ـ إن صح تقدير الزيادة ـ أنه لا يصح إطلاق القول بأن الإيمان مخلوق، لأنه قد يُراد بالإيمان: المؤمَن به، كما فسَّر مجاهد «الإيمان» في هذه الآية بـ«الله».

(٤) زيادة مقترحة لإقامة السياق، ولعل نحوه سقط من الناسخ لانتقال النظر من «عمله» إلىٰ مثله.

وحركاته وجميع ما هو منه مخلوق.

۞۞۞

وأما اتباع السنة[(١)] يعني: القبول والإقرار والتصديق في جميع ما فعل النبي ﷺ وفي جميع ما أمر به ونهىٰ عنه، وأن لا يُنكِر ولا يشُكَّ ولا يقف في شيء مما فعل النبي ﷺ وفيما أمر ونهىٰ، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وتفسير ذلك: ﴿مَن تَابَ﴾ من الشرك وأتىٰ بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، ﴿وَءَامَنَ﴾ يعني التصديق في القلب ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني الصلاة والصوم والحج والجهاد ونحو هذا، ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ يعني يتبع سنة الرسول ﷺ في جميع ما أمر به.

فهذا كله ردٌّ [ق١٥] علىٰ المرجئة والمعتزلية[(٢)] لعنهم الله، لأنهم يقولون: الإيمان قول بلا عمل[(٣)].

وقد قال الله تعالىٰ في قصة فرعون حين غرق في النيل: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فلم ينفع

---

(١) هذا عود علىٰ بدء، فإنه عرَّف الإيمان في أول الباب بأنه قول باللسان، وعمل بالأركان، ونية بالقلب، واتباع السنة.

(٢) كذا في الأصل، وقد سبق مثله.

(٣) كذا، والمعروف أن المعتزلة يجعلون العمل من الإيمان، وإن كانوا يغالون فيقولون بذهاب الإيمان كلِّه بذهاب بعض العمل الواجب. انظر: «شرح الأصول الخمسة» المنسوب إلىٰ القاضي عبد الجبار (ص٧٠٧)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥١٠).

إقراره بلسانه دون معرفته بالقلب.

**والرد علىٰ من قال: الإيمان قول وعمل دون التصديق بالقلب**: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان في عهد رسول الله ﷺ المنافقون أقروا باللسان وعملوا بالجوارح، فلم ينفعهم إقرارهم بألسنتهم والعمل بجوارحهم دون التصديق بقلوبهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ يعني بالقلب ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ إلىٰ قوله ﴿فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون][(1)].

**والرد علىٰ من قال: الإيمان قول وعمل ونية دون اتباع السنة**: قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

**وعلىٰ من يقول: الإيمان معرفة بالقلب دون الإقرار باللسان**: قولُه تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] يعني النبيَّ ﷺ يعرفون أنه نبيٌّ ثم ينكرونه[(2)] باللسان[(3)]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ

---

(١) لم أقف علىٰ أثر ابن عباس.

(٢) في الأصل: «ينكروه».

(٣) هذا قول السدي ـ «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٢٥) ـ واختيار الزجاج (٣/ ٢١٦).

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، كما قال أبو طالب عمُّ النبي ﷺ: أعلم أن ما تقوله حق ولكني لا أَشهَد عليك بلساني لأنَّ العرب يعيِّرونني علىٰ ذلك[١]؛ فلم تنفَعْه معرفتُه بقلبه دون إقراره بلسانه.

والإقرار بأنَّ الإيمان غير الإسلام، والإسلام هو القول والإيمان هو العمل[٢]، والإسلام ظاهر والإيمان باطن، وأن الله تعالىٰ فرَّق بين الإسلام وبين الإيمان في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥].

والدلالة أيضًا علىٰ أن الإيمان قول وعمل: قولُ الله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، فأخبر ـ تعالىٰ ذكرُه ـ أن القول

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥/ ٤٢) بنحوه في خبر وفاة أبي طالب حين قال له النبي ﷺ: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال: «لو لا أن تعيِّرني قريشٌ يقولون: إنما حمله علىٰ ذلك الجزع، لأَقررتُ بها عينك».

(٢) وهذا قول غير واحدٍ من السلف في التفريق بينهما. قاله ابنُ أبي ذئب كما حكاه عنه الإمام أحمد فيما أخرجه الخلال في «السنة» (١٠٥٩) وهبة الله الطبري (١٥٠٠). وقاله من قبلُ الزهريُّ كما عند عبد الله في «السنة» (٧٢٩) والخلال (١٠٧١-١٠٧٤)، ولفظه: «الإسلام: الكلمة، والإيمان: العمل».

ومرادهم والله أعلم: أن من أتىٰ بالشهادتين فقد دخل في الإسلام وثبت له حكمه ظاهرًا، ولكن لا يصحُّ له الإيمان الذي به النجاة عند الله إلا إذا عمل، فإنَّ من وقر الإيمانُ في قلبه فلا بد أن يحمله علىٰ العمل. ولذا قال غير واحدٍ من أئمة السلف كالثوري والأوزاعي ومالك: «لا إيمان إلا بعمل». أخرجه هبة الله الطبري في «السنة» (١٥٨٦، ١٧٩٢).

لا يُرفَع إلا بالعمل، إذًا[١] العملُ يرفعه، فدلَّ على أنَّ كل قولٍ لا يقترنه[٢] العمل لا يرفعه[٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، فأخبر أن كل من لا يقترن قوله بعمله فلا حظَّ له في الجنة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، فأخبر تعالىٰ أنه لا يغفر إلا لمن يجمع له القولَ والعملَ، ولا ينفع أحدهما دون صاحبه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، فوصف أن الإيمان قول وعمل، والقول لا ينفع إلا بالعمل كما أن العمل لا ينفع إلا بالقول.

**فإن قال مخالف:** فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة: ٨٥]، فأوجب لهم الجنة بالقول دون العمل.

**فقل**[٤]: إن هذه الآية نزلت في شأن أصحاب الكهف[٥] وفي كلِّ من أقرَّ

(١) كذا في الأصل منوَّنًا، ولعل صواب العبارة: «إذا كان العمل...».

(٢) كذا في الأصل على الحذف والإيصال، والجادة: «يقترن به».

(٣) كذا في الأصل، والأشبه بالسياق: «يُرفَع».

(٤) غير محرر في الأصل، يُشبه: «فقلتُ»، ولكن ليس له نظائر عند المؤلف.

(٥) كذا، وهو سهو، فإن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا =

بالشهادة ثم يأتيه الموت في الوقت والحال[١]؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤]، فهذه الآيات تدل علىٰ أنه لا ينفع أحدهما دون الآخر.

فهذه براءة من قول المرجئة وما يتشعَّب من مذاهبهم وأقاويلهم.

○○○

---

= عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٤﴾. وهذه الآيات روي عن غير واحد من مفسري السلف أنها نزلت في شأن القسيسين والرهبان من الحبشة من أصحاب النجاشي. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٩٤-٥٩٧).

(١) هذا قد ينفع في توجيه بعض النصوص الأخرىٰ التي ظاهرها أن النجاة والفوز بمجرد القول دون العمل. وأما هذه الآية فيقال: قولهم هذا يدل علىٰ صدق إيمانهم المتضمن لعمل القلب والجوارح؛ فدَمْعُ عيونهم، واستنكارُهم واستبعادُهم عدمَ الإذعان للحق، ورجاؤهم أن يكونوا مع الصالحين= كل ذلك دليل علىٰ أن هذا القول منهم لم يكن قولًا مجرَّدًا، بل هو مُعرِب عن صدق إيمانهم ومحبتهم لله تعالىٰ وعزمهم علىٰ الإذعان لدينه وشريعته. والله تعالىٰ أعلم.

# باب الاستثناء في الإيمان

ثم إن الإيمان يدخلها الاستثناء، يقال: أنا مؤمن إن شاء الله، ولا يُستثنىٰ في الإسلام، فيقال: أنا مسلم، ولا يقال: إن شاء الله؛ لأن الإسلام قد حصل منه بالقول، وقبولُ الإيمان مغيَّبٌ عنه، ويجوز أن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله. والدليل علىٰ أن الإسلام غير الإيمان قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

والاستثناء علىٰ وجهين: استثناء علىٰ يقين، واستثناء علىٰ غير يقين. فالاستثناء علىٰ اليقين مثل ما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ومثل ما قال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله**»[١]. وقيل: إنه ﷺ اجتاز يومًا بالبقيع فقال: «**إنَّا إن شاء الله بكم لاحقون عن قريب**»[٢]. فهذا كله استثناء علىٰ يقين، فيجب علىٰ من يستثني أن يعلم كيف يستثني ولأيِّ شيءٍ وقع عليه الاستثناء، لئلا يظن المخالف أن استثناءه

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٤٤٢٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا اللفظ، وهو عند مسلم (١١١٠) بلفظ: «**والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي**». وباللفظ المذكور استشهد به في هذه المسألة: الإمام أحمد ـ كما في «السنة» للخلال (١٠٣٣) ـ وابنُ بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٢٦٢) ولعل المؤلف صادر عنه.

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨٨) من حديث أبي هريرة بلفظ: «...عن قريب بكم لاحقون». وهو عند مسلم (٢٤٩) دون قوله: «عن قريب».

من قِبَل الشك(١).

وقد كان سفيان الثوري وابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [ق١٦] يقولون: الناس عندنا مؤمنون في التوارث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله(٢)، ولا على أي حال يموتون، لأن الاستثناء واقع على ما يُستَقبل، وقول العبد: أنا مؤمن إن شاء الله، معناه: إن قَبِل الله إيماني وأماتني عليه، وهو بمنزلة رجل صلى صلاة فقيل له: صليتَ؟ فيقول: قد صليتُ وعلى الله القبول، فكذلك إذا صام وعمل عملًا. وإنما وقع الاستثناء فيه على الخاتمة وقبول الله إياه ـ لا أنَّه شاكٌّ فيما قد قاله وفعله ـ أمقبول منه أم مردود عليه؟ وقد نرى الرجل يصلي فيقال: صليتَ؟ فيقول: نعم إن قُبِلت.

ويُعلَم أن الإسلام اسم ومعناه الملة، والإيمان اسم ومعناه التصديق،

---

(١) قال الإمام أحمد: «إذا قال: (إني مؤمن إن شاء الله) ليس هو بشاكٍّ». قيل له: (إن شاء الله) ليس هو شكًّا؟ قال: «معاذ الله! أليس قد قال الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وفي علمه أنهم يدخلون؟ وصاحب القبر إذا قال: (عليه أُبعث إن شاء الله) فأيُّ شك هاهنا؟ وقال النبي ﷺ: (وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون)». «الإبانة الكبرى» (١٢٨١) من رواية الفضل بن زياد عنه. وانظر: «السنة» للخلال (١٠٣٨) رواية حُبيش بن سِندي عن الإمام.

(٢) إلى هنا روي قول سفيان، رواه الإمام أحمد عن وكيع عنه، كما في رواية أبي داود في «مسائله» (١٧٧٥)، وابنه في «السنة» (٥٩٦)، والفضل بن زياد في «الشريعة» (٢٧٩)، والأثرم في «الإبانة الكبرى» (١٢٨٥). ولم أجد قول عبد الله بن المبارك، وأخشى أن يكون المؤلف صادرًا عن «الإبانة الكبرى» ويكون قد تصحَّف فيها ذكر «أبي عبد الله» عقب الأثر إلى «عبد الله» فتوهَّم منه أنه ابن المبارك. والله أعلم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، يقول: بمصدِّق. والآيات في صحة ما ذكرناه كثيرة، ومنه ما قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وإذا سئل رجل: أنت مؤمن؟ فليقل: أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[١]، وأنا مؤمن بكل ما أمر به النبيون والمرسلون والصالحون.

وقال سهل بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستثناء في الإيمان ليس بشك، إنما هو سنة متبعة، من تركها فقد ابتدع، فاعلم[٢].

وسئل سهل بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المرجئة فقال: من زعم أني مؤمن تامّ الإيمان، أو قال: أنا مؤمن حقًّا، أو قال: إيماني كإيمان جبريل وميكائيل= فقد شهد علىٰ نفسه بالجنة، ومن شهد علىٰ نفسه أنه في الجنة وحَكَم علىٰ الله فهو في النار[٣]. (وفي نسخة أخرىٰ: من شهد علىٰ نفسه أنه في النار فهو في

---

(١) أُثر نحو ذلك عن جملة من التابعين: ابن سيرين، وميمون بن مهران، وطاوس، وإبراهيم النخعي. انظر: «السنة» لعبد الله (٦٢٥-٦٢٨) و«الإبانة الكبرىٰ» (١٢٨٦ - ١٢٩١).
وصحَّ عن ابن مسعودٍ أن رجلًا قال عنده: إني مؤمن، فقال: «قل: إني في الجنة! ولكنَّا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله». «السنة» لعبد الله (٦٣٣) وللخلال (١٣٤٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه. وقد روي عن النبي ﷺ مرسلًا: «**من زعم أنه في الجنة فهو في النار**». أخرجه الخلال (١٠١٣) وأبو القاسم البغوي في «مسند ابن الجعد» (٣١٤٧) ـ ومن طريقه هبة الله الطبري (١٧٧٦) ـ من حديث الحسن عن النبي ﷺ. وروي نحوه عن =

النار)[١].

وروي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال[٢]: مرَّ بنا قوم فقلنا: مَن أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، فقال عبد الله: فهلَّا[٣] قالوا: إنَّا من أهل الجنة؟![٤]

فهذه براءة من قول المرجئة وما يتشعَّب من مذاهبهم.

○○○

---

= عمر موقوفًا عليه، من رواية قتادة ونعيم بن أبي هند عنه، وكلاهما مرسل. أخرجهما الخلال (١٢٦٣، ١٢٧١) وابن بطة (١٢٦٦، ١٢٦٧).

(١) كذا أثبته الناسخ في الأصل. ولعل ما وجده في نسخة أخرىٰ خطأ، أو أن هذه زيادة فيها لم ترد في الأولىٰ.

(٢) كذا في الأصل، والصواب كما في المصادر أن رجلًا قال ذلك عند عبد الله، فقال عبد الله ما سيأتي.

(٣) في الأصل: «فهل لا».

(٤) أخرجه القاسم بن سلَّام في «الإيمان» (١٠)، وابن أبي شيبة فيه (٢٣)، وأحمد كما عند ابنه (٦٣٤) والخلال (١٣٢١) وابن بطة (١٢٦٨). وسنده صحيح.

## باب في الرؤية

والإيمان بأن المؤمنين[(١)] يرون الله يوم القيامة جهرًا وعِيانًا، ويتجلَّىٰ لهم ضاحكًا مستبشرًا، ويكلِّمُهم ويُكلِّمونه ويرونه، ويكونون في القرب منه علىٰ قدر أعمالهم الصالحة ومعرفتهم به، يرونه تعالىٰ بأعين رؤوسهم لا يشكُّون في رؤيته، والإيمان به في غير حدٍّ ولا نهاية. هكذا قال النبي ﷺ: «**ترون ربكم يومَ القيامة كما ترون القمرَ ليلةَ البدر، لا تضامون في رؤيته ولا تضارون**»[(٢)].

والدليل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣].

وقال أيضًا: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، أي: النظر إلىٰ ربهم بلا حجاب[(٣)].

---

(١) في الأصل: «المؤمنون».

(٢) ملفق من حديث جرير بن عبد الله البجلي المتفق عليه (خ ٥٥٤، م ٦٣٣) بلفظ: «لا تضامون»، وحديث أبي هريرة وأبي سعيد المتفق عليهما أيضًا (خ ٦٥٧٣، م ١٨٢) بلفظ: «تضارون». وكلا اللفظين يحتمل الضبط بفتح التاء (علىٰ زنة تَفاعلون بحذف الأولىٰ تخفيفًا) أو بضمها (تُفاعَلون)، وعلىٰ الأول فهو بالتشديد من (ضمّ/ ضرّ)، وعلىٰ الثاني فوجهان: التشديد، والتخفيف علىٰ أنه من الأجوف (ضيم/ ضير). انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٤/ ٣٢١، ٤١٤).

(٣) روي عن أنس مرفوعًا أن يوم الجمعة في الآخرة يُدعىٰ «يوم المزيد» يُكرم فيه أهلُ الجنة بأنواع الكرامة ويتجلَّىٰ لهم ربُّهم فينظرون إليه. أخرجه الشافعي في «الأم» (٢/ ٤٣٢، ٤٣٣) والطبراني في «الأوسط» (٢٠٨٤، ٦٧١٧) وعبد الله في «السنة» (٤٤٢) والبزار (٧٥٢٧) والدارقطني في «الرؤية» (٥٩، ٦٥) وغيرهم من طرقٍ كلُّها ضعيفة. قال =

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، أي: النظر إلىٰ الله سبحانه(١).

وقال جل ذكره: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِى ٱلْأَنفُسُ﴾(٢) [الزخرف: ٧١]، فمُحال أن لا يشتهي الحبيبُ أن ينظر إلىٰ الحبيب في دار الأمن، ومُحال أن يُمنَع من النظر إذا اشتهىٰ لأنه قد قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]. ولا بُدَّ من ذلك كما لا بُدَّ له من الموت، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، فالموت محيط بالناس.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في قصة الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فدل علىٰ أن المؤمنين لا يُحجَبون عن ربهم، فصحَّ بذلك ما ذكرناه(٣).

**فإن قال المخالف:** فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

---

= الذهبي: «هذا حديث مشهور، وافر الطرق، وهي يعضد بعضها بعضًا، رزقنا الله وإياكم لذة النظر إلىٰ وجهه الكريم». «العلو» (١/ ٣٤٧، ٣٦٥) بجمع وتصرف يسير.

(١) روي ذلك مرفوعًا من حديث صهيب عند مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٢) وغيرهما، وأعلَّ الترمذي رفعه. وروي عن غير واحد من الصحابة والتابعين. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٥٦-١٦٢).

(٢) كذا في الأصل علىٰ قراءة الجمهور عدا نافعًا وابنَ عامر وحفصًا، فإنهم قرأوا: ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ بالهاء.

(٣) وقد استَدَلَّ بهذه الآية علىٰ رؤية المؤمنين ربَّهم: الحسن ومالك والشافعي وغيرهم. انظر: «شرح السنة» لهبة الله الطبري (٨٠٥-٨٠٩).

ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

**قيل له**: أراد بذلك في الدنيا لا في الآخرة. وإدراك الشيء هو الإحاطة، والله تعالىٰ لا يُحاط به لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، وكما لم تُدرَك[1] الشمسُ في نورها، وأحاطت بالشرق والغرب ولا يرونها كما هي. كذلك قال في محكم كتابه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: لا تحيط به.

وسئل النبي ﷺ: هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**»، قالوا: لا، قال: «**فكذلك النظر إلىٰ الله تعالىٰ**»[2].

فهذا براءة من قول المعتزلة والمبتدعة الضالة وما يتشعب من مذاهبهم.

○○○

---

(١) كذا ضبط في الأصل، ويصح: «لم تُدرِك (أي الأبصارُ) الشمسَ».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٣) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بنحوه.

## باب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

والإيمان بأن خير هذه الأمة وأفضلها بعد نبيِّها ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ وطلحةُ والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهم أجمعين. هم العشرة البَرَرة الكِرام الذين شهد لهم [ق١٧] رسول الله ﷺ بالجنة(١).

والترحُّم علىٰ جميع أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه وأهل بيته، وذكر محاسنهم، والإمساك والكفّ عمَّا شجَرَ بينهم، والشهادة لمَن شَهِد له رسول الله ﷺ بالجنة، والاقتداء بهم والتمسك بآثارهم.

والإيمان بأن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ضجيعَي(٢) رسول الله ﷺ في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، دُفِنا معه هنالك. كذا الرواية عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**صاحبَيَّ(٣) ووزيرَيَّ وخليفتَيَّ ومؤنسَيَّ وضجيعَيَّ: أبو بكر وعمر**»(٤).

---

(١) كما في حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١٦٣١) وأبي داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨) والنسائي في «الكبرىٰ» (٨١٥٣) وابن حبان (٦٩٩٣، ٧٠٠٢) والضياء في «المختارة» (٩٠٣).

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، والوجه: «صاحباي»، وكذا معطوفاته.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرجه البزار (كشف الأستار: ٢٤٩١) والآجري (١٣٢٨) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٥٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١٢١) من طرق كلها واهية، عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس بلفظ: «إن لي

والإقرار بأن الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان[١]، لا يُتنازَعون فيها، ولا يُقَرُّ بها لغيرهم.

ومن نطق في أصحاب رسول الله ﷺ وفي أزواجه وأهل بيته بكلمةٍ غير صواب فهو صاحب هوىً.

وسبُّهم: المظلمة التي لا تُوهَب[٢]، لأن الله تعالىٰ قد مدحهم وشرَّفهم وأثنىٰ عليهم في القرآن وفي سائر الكتب والصحف، وفضَّلهم علىٰ جميع خلقه سوىٰ النبيين والمرسلين، وأظهر درجاتهم وزيادتهم بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أبي بكر، ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ عمر، ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ عثمان، ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ علي، ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾ طلحة، ﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ زبير، ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ سعد، ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ سعيد، ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ عبد الرحمن، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] أبو عبيدة بن الجراح[٣].

---

= وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض، فوزيراي من أهل السماء: جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض: أبو بكر وعمر». له شواهد من حديث أبي سعيد وأنس وأبي ذر، ولكنها واهية أيضًا. انظر: «الضعيفة» (٣٠٥٦) و«أنيس الساري» (المجموعة الثانية: ٦٩٣).

(١) كما في حديث ابن عمر مرفوعًا: **«لا يزال هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقي منهم اثنان»** متفق عليه (خ ٣٥٠١، م ١٨٢٠). وأخرج البخاري (٣٥٠٠) من حديث معاوية مرفوعًا: **«إن هذا الأمرَ في قريشٍ، لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله علىٰ وجهه، ما أقاموا الدين»**.

(٢) أي لا تُغفر، من قولهم: «اللهم هَبْ لي ذنوبي» و«هب المسيئين منا للمحسنين».

(٣) هذا تفسير منكر جدًا، ولم أجده حتىٰ في مصادر التفسير الإشاري!

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نزلت هذه الآية بتقديم الصحابة بالفضل والشرف والمنزلة لبعضهم على بعض، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ يعني أبا بكر، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني به عمر، ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ عثمان، ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ علي، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ طلحة، ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ زبير، ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ سعد، ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ سعيد، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عبد الرحمن بن عوف، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أبو عبيدة بن الجراح، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ يعني: العشرة مع أهاليهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] يعني مُحِبِّيهم[١].

وقوله تعالى دالًّا على مدحهم في سائر الكتب: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان، ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يعني به: النبي ﷺ، ﴿فَآزَرَهُ﴾ يعني أبا بكر، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ يعني به عمر، ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ يعني به عثمان، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ يعني به علي بن أبي طالب[٢]، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ

---

(١) وهو كسابقه.

(٢) أخرج الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٢) من رواية مبارك بن فضالة عن الحسن البصري نحوه، وفيه ذكر سائر العشرة في تفسير: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.
وروي ذلك عن ابن عباس في «تلخيص متشابه الرسم» للخطيب (٢٢٢)، وعن محمد الباقر مقطوعًا في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٣٩٠)، وعنه عن عليٍّ مرسلًا في زوائد القطيعي

﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ يعني به: الروافض بِبُغضهم، وقد وصفهم الله أنهم كفار[1]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] يعني بهم: مُحِبِّيهم.

وأيضًا قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدلًا[2] ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني به: أصحابَ النبي ﷺ، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] يعني: مُبغِضيهم[3] الروافض.

=

علىٰ «فضائل الصحابة» (٦٩٠)؛ ولكن جميعها واهٍ بمرَّة.

(١) روي أن الإمام مالكًا تمسَّك بالآية في تكفير الروافض، ذكره ابن كثيرٍ في «التفسير». وروىٰ الثعلبي (٢٤/ ٣٢٤) عن عبد الله بن إدريس الأَودي ـ الإمام الجليل القدوة من أتباع التابعين ـ أنه قال: «ما آمنُ بأن يكونوا قد ضارعوا الكفَّار، يعني الرافضة، لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾».

(٢) هكذا فسَّره النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد عند البخاري (٧٣٤٩، ٣٣٣٩).

(٣) في الأصل: «مبغضهم».

وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] قال: كانوا ألفًا[١] وثلاثمائة نفر[٢].

وقد جاء في ذكرهم ما هو أكثر من ذلك، واقتصرنا علىٰ أيسرها، ففيه كفاية وبلاغ لمن وفقه الله، والله ولي الكفاية.

○○○

---

(١) في الأصل: «ألف».

(٢) كذا في حديث ابن أبي أوفىٰ عند مسلم (١٨٥٧). ولكن في حديث جابر المتفق عليه (خ ٤١٥٤، م ١٨٥٦) وحديث البراء عند البخاري (٤١٥٠) كانوا ألفًا وأربعمائة.

# باب فضائل أبي بكر -رضي الله عنه- منفردًا

والدليل على أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها ﷺ قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فنصبه وليس له ناصب، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥] فلما حذف الخافض نصبه(١).

فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثاني رسول الله ﷺ في اثنا(٢) عشر موضعًا:

(١) في الإسلام.

(٢) والدعوة الكبيرة لله تعالى، فإنه أسلم في دعوته [ق١٨] عثمان، وعبد الرحمن، وطلحة، وزبير، وسعد، وسعيد(٣)؛ حتى قيل: إن الإسلام قام بدعوة أبي بكر رَحِمَهُ اللَّهُ وأهل الأرض والسماء.

(٣) وكان ثاني رسول الله ﷺ في شِرى المعذَّبين، وأعتق منهم بلال(٤)

---

(١) أي أن أصله: «اختار من قومه». ولكن ليس في ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ حذف الخافض، بل هو منصوب على الحال من مفعول ﴿أَخْرَجَهُ﴾، أي أخرجوا النبي ﷺ حال كونه ثانيَ الاثنين ـ أي أحدَ الاثنين ـ والآخر أبو بكر. وكأن المؤلف ينحو إلى أن ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه منصوب بنزع الخافض، كأن يكون التقدير: «أخرجوا النبيَّ بثاني اثنين» أي: معه، فحذفت الباء وانتصب ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾. والله أعلم.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) ذكر ابن إسحاق ـ كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٥٠-٢٥١) ـ الخمسة الأوائل، ولم يذكر سعيد بن زيد معهم.

(٤) كذا في الأصل.

المؤذن، وعامر بن فهيرة، وغيرهما تمامَ ستِّ نفر[١].

④ وكان ثاني رسول الله ﷺ في إنفاق ماله علىٰ النبي ﷺ أربعين ألف دينارٍ[٢].

⑤ وكان ثاني رسول الله ﷺ في الرأي والمَشْوَرة حين أمره الله تعالىٰ في مُشاورتهم.

⑥ وكان ثاني رسول الله ﷺ في العريش يوم بدر[٣].

⑦ وكان ثاني رسول الله ﷺ في الهجرة.

⑧ وكان ثاني رسول الله ﷺ في الصحبة إلىٰ المدينة.

⑨ وكان ثاني رسول الله ﷺ في الصلاة أن أقامه مقامَ نفسه.

⑩ وكان ثاني رسول الله ﷺ في قتال أهل الردة[٤].

⑪ وكان ثاني رسول الله ﷺ في الخلافة[٥].

۞۞۞

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٨-٣١٩).

(٢) قالت عائشة: «أنفق أبو بكر علىٰ رسول الله ﷺ أربعين ألفًا». رواه ابن حبان (٦٨٥٩).

(٣) وليس معهما غيرهما. انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٥-٦٢٧) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٤٤، ٨١)

(٤) وذلك أن قتال المرتدين بدأ في عهد النبي ﷺ فقُتل الأسود العنسي في حياته، ثم كان قتالُ مسيلمة وقتلُه في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) بقي واحد وهو: أنه كان ثاني رسول الله ﷺ في القبر. انظر: «مستدرك الحاكم» (٣/ ٦٣).

وكان أولُ ما يدلُّ به عليه علمَ رسول الله ﷺ وعلمَ كتاب الله بعدما مات رسول الله في الخفاء[١] الذي خفي على جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

**أولها موت النبي ﷺ**: فإنهم حين مات رسول الله ﷺ غفل الكل عن موته إلا أبا بكر[٢] الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام على باب المسجد مسلولَ السيف وهو يقول: واللهِ ما مات رسول الله ﷺ ولا قُتل! ولا يموت حتى يقطع أيدي قومٍ وأرجلَهم يزعمون أنَّ محمدًا مات، وأن الله تعالى غيَّبه كما غيَّب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورفعه كما رفع عيسى. وقام كذلك عثمان بن عفان على باب المسجد وهو يقول: واللهِ ما قال أحدٌ: محمد مات إلا ضربتُ عنقه بسيفي هذا. حتى جاء أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان غائبًا[٣] بقرية يقال لها السُّنح[٤]، فلما دخل بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فإذا برسول الله ﷺ مسجًّى وعليه رداء، فكشف عن وجهه وقبَّله وقال: بأبي أنت يا رسول الله ما أطيبك حيًّا وميتًا، وبكى وخرج يجُرُّ رداءه حتى دخل المسجد وعمر يحلف ويقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ولا قُتِل، فقال الصديق: على رسلك أيها الحالف، ثم صعد المنبر وأقبل على الناس بوجهه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، ألا من كان يعبد الله فإن الله حيٌّ[٥] لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا ويراه إلٰهه فإن إلٰهه مات، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ

---

(١) في الأصل: «الاخفآ»، ولعل الصواب ما أثبت. والعبارة فيها قلق.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) في الأصل: «غائب».

(٤) في الأصل: «السبيح»، تصحيف.

(٥) في الأصل: «حيًّا».

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فرمىٰ عمر سيفه من يده وغُشِي عليه، وكذلك عثمان، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: واللهِ ما قدرت هذه الآية نزلت إلا في ذلك اليوم، فأيقنوا الكل بموت النبي ﷺ[1].

**ثم اختلفوا في ميراث النبي ﷺ وفي دفنه**: فقال قوم: يُدفَن عند المنبر، وقال قوم: يدفن في الروضة، وقال قوم: يدفن في البقيع، وكان عليٌّ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: يدفن عند المنبر، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عندي بذا عِلمًا[3]، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما دُفِن نبيٌّ إلا في الموضع الذي مات فيه**» أو قال: «**قبضه الله فيه**»، فرجعوا إلىٰ قول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخطوا حول فراشه ودفنوه ﷺ في ذلك الموضع[4].

**ثم اختلفوا في ميراث النبي ﷺ وتركته**: فجاء عليٌّ وعباس وفاطمة

---

(١) لم أجد في خبر وفاة النبي ﷺ تنظير عمر موت النبي ﷺ برفع عيسىٰ، ولا مقالة عثمان وأخذه للسيف. وسائره صحَّ بنحوه من مجموع حديث عائشة وابن عباس عند البخاري (٣٦٦٧) وابن حبان (٦٦٢٠)، و حديث أنس عند أحمد (١٣٠٢٨) وابن حبان (٦٦٢٠).

(٢) في الأصل: «عليًا».

(٣) كذا في الأصل.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) والبزار (١٨) وأبو يعلىٰ (٢٢) من حديث ابن عباس بنحوه، وإسناده ضعيف. وذكره الإمام مالك في «الموطأ» (٦٢٠) بنحوه بلاغًا. وله شاهد من حديث سالم بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي في «الكبرىٰ» (٧٠٨٤) بإسناد حسن، ولكن ليس فيه قول النبي ﷺ. وللقدر المرفوع طرق أخرىٰ ضعيفة ومرسلة. انظر: «أنيس الساري» (٣٣٣٥).

رضوان الله عليهم وطالبوا بتركة النبي ﷺ، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّا معشرَ الأنبياء لا نرث ولا نورث، ما تركناه صدقة**»، يقول: «**إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»، وكان رسول الله ﷺ لا يأخذ منه إلا نفقة لنسائه ومؤنة عامله، وإنما أُسلِّمه إلىٰ أيديهم علىٰ هذا الشرط من غير أن يجعله ميراثًا، وإني لم أر[1] رسول الله ﷺ يصنع شيئًا إلا صنعتُ مثل الذي صنع»[2]. فرضُوا بذلك.

**وافترقوا أيضًا في قتال أهل الردة**، وخالف أصحاب رسول الله ﷺ فيه حتىٰ نازلوه وخاطبوه، فقال أبو بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أجبَّارٌ في الجاهلية خوَّارٌ في الإسلام؟! والله لو منعوني عناقًا مما أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتُهم عليه. فصدَّقوه في ذلك ورجعوا الجماعةُ إلىٰ قوله وقالوا: الحق فيما رأيت[3].

❁❁❁

ولقد أنزل الله تعالىٰ في أبو بكر[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الآيات الدالة علىٰ فضله خاصةً، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] نزلت في

---

(١) في الأصل: «أرىٰ».

(٢) مجموع من أحاديث عائشة (خ٤٠٣٥، ٤٢٤٠؛ م ١٧٥٩)، وأبي هريرة (خ ٢٧٧٦، م ١٧٦٠)، وعمر (خ ٣٠٩٤، م ١٧٥٧) المتفق عليها.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠)، ولكن ليس فيه قول أبي بكر: «أجبَّارٌ في الجاهلية...». إنما روي ذلك بإسناد واهٍ في «الدلائل» للبيهقي (٢/ ٤٧٧) و«سير السلف الصالحين» لقِوام السنة الأصبهاني (ص٧٨-٨٠).

(٤) كذا في الأصل.

أبي بكر خاصة، لأن شرائط الآية فيه ظهرت وعليه دلت[١].

وقال تعالىٰ [ق١٩] أيضًا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، نزلت في أبي بكر وحدَه، لأنه أنفق علىٰ رسول الله ﷺ مالَه قبلُ وتفرَّد به دون غيره[٢].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل][٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ محمد ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] أبو بكر ، ويُروىٰ ذلك عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

---

(١) قال عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري (ت١٩٢) ـ من أفاضل أهل مصر من أتباع التابعين ـ: «أرىٰ ولاية أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالىٰ: (وقرأ هذه الآية)». أسنده ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٢٨).

(٢) أي: في أول الإسلام قبل إسلام غيره. أما مَن أنفق قبل الفتح مطلقًا وقاتل فكثير من المهاجرين والأنصار، وإن كان لأبي بكر من القبلية والإنفاق ما ليس لغيره.
هذا، وقد روىٰ محمد بن فُضيل عن الكلبي قال: إن هذه الآية نزلت في أبي بكر. «الكشف والبيان» للثعلبي (٢٦/ ٣٠) و«أسباب النزول» للواحدي (ص٦٤١).

(٣) روي عن عبد الله وعروة ابني الزبير وغيرهما من السلف أنها نزلت في أبي بكر بابتياعه الضعفةَ المعذَّبين وإعتاقِهم. بل حكىٰ الواحدي وابن الجوزي إجماع المفسرين علىٰ ذلك. انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٩) و«الكشف والبيان» (٢٩/ ٤٥٣-٤٥٨) و«مستدرك الحاكم» (٢/ ٥٢٥)؛ و«البسيط» (٢٤/ ٨٨) و«زاد المسير» (٩/ ١٥٢).

(٤) أخرجه البزار (٩٢٨) والطبري (٢٠/ ٢٠٤) وهبة الله الطبري في «شرح السنة» (٢٤٥٧) وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٨٩٤) والضياء في «المختارة» (٣٩٧- =

حدَّث أبو بكر محمد بن عامرٍ السمرقندي [عن] عِصام[1] بن يوسف، عن سفيان الثوري، عن آدم بن علي، عن أبيه، عن ابن عمر أنه قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا وعنده أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليه عباءة قد خلَّلها بخلال، فجاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا محمد، ما لي أرىٰ أبا بكر علىٰ هذه الحالة؟ فقال النبي ﷺ: «أنفقَ عليَّ مالَه وزوَّجني ابنتَه»، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: قل له: إن الله تعالىٰ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراضٍ[2] أنت عنِّي في فقرك هذا أم ساخط؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك فبكىٰ أبو بكر وقال: أَعَلىٰ ربِّي أسخط! أنا عن ربِّي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ[3].

=

٣٩٩) في كلام طويل منسوب إلىٰ عليٍّ، وهو موضوع مختلق. في إسناده عمر بن إبراهيم الهاشمي، قال الدارقطني: كذَّاب خبيث.

(١) في الأصل: «وعاصم»، تصحيف.

(٢) في الأصل: «أراضي».

(٣) حديث موضوع، فمحمد بن عبد بن عامر التميمي السمرقندي، كذَّاب وضَّاع، روىٰ عن عصام بن يوسف وغيره أحاديث باطلة. انظر: «لسان الميزان» (٧/ ٢٣٤).

والحديث معروف من رواية العلاء بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان به، إلا أنه ليس فيه «عن أبيه» كما هنا. قال ابن حبَّان في «المجروحين» (٢/ ١٧٦): «يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال». أخرجه من هذا الطريق: الثعلبي (٢٦/ ٣٤) ـ ومن طريقه البغوي (٨/ ٣٤) ـ والواحدي في «أسباب النزول» (ص٦٤١) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٠٥) وابن عساكر في «التاريخ» (٣٠/ ٧١، ٧٢).

وله طريق آخر من رواية أبي علي الحسن بن الحسين الأسواري عن سفيان به، أخرجه ابنُ المقرئ في «المعجم» (١٦٦) وأبو نعيم (أيضًا) والخطيب في «تاريخ بغداد» =

ويُروَىٰ عنه ﷺ أنه قال يومًا: «**أعطاك الله يا أبا بكر الرضوان الأكبر**»، فقال بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «**يتجلىٰ لعباده المؤمنين في الآخرة عامةً ويتجلىٰ لأبي بكر خاصةً**»(١).

ويُروَىٰ عنه ﷺ أنه قال: «**لو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن أخي وصاحبي، [إن صاحبكم] خليل الله**»(٢).

ولو خضتُ في فضائله لانقطعت الكتب وامتلأت الصحف.

ooo

---

=

(٢/ ٤٦٥). ولم أجد للأسواري هذا ذِكرًا إلا في هذا الحديث، ولا يُعرف عنه شيء، فمتابعة مجهول مثله لا يزيد الحديث إلا وهنًا، والله أعلم.

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١١) من حديث جابر. في إسناده محمد بن خالد الخُتُّلي، يروي الموضوعات. وله طرق أخرىٰ وشواهد من حديث أنس وعائشة وأبي هريرة، ولكن كلها تالفة. انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٥٦٤-٥٧٣).

(٢) ملفق من حديث ابن عباس عند البخاري (٣٦٥٦) و حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٣٨٣/ ٧)، وما بين الحاصرتين منه.

# باب من فضائل عمر الفاروق -رضي الله عنه- منفردًا

والدليل علىٰ أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لأنه لم يكن بعده أفضل منه، لأنه أظهر الإسلام وفرَّق بين الحق والباطل، وأعزَّ الله به الإسلامَ والدينَ وأذلَّ الشرك، وأبطل الباطل، وفتح البلاد، وأغنىٰ به المسلمين، ودَسْكَر الدساكر[1]، ودوَّن الدواوين، وجيَّش الجيوش حتىٰ بلغ جبل طرازبل[2] من حدِّ الروم، وبلاوه[3] من حدِّ خراسان إلىٰ حدِّ الترك.

وروي [عن] ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: رحم الله عمر، كان إسلامه يُمنًا، وكانت هجرته فتحًا، وكانت إمارته بركةً، والله ما استطعنا أن نصلي علنًا في[4] البيت حتىٰ أسلم عمر، وإني لأرىٰ ملكًا بين يديه يُسدِّده، وإني لأرىٰ الشيطان يَفْرَقُه. وفي نسخة أخرىٰ[5]: إذا ذُكِر الصالحون فحيَّهَلَ بعمر[6].

(١) أي: مصَّر الأمصار، منها: الكوفة والبصرة والموصل. انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) كذا، ولم أعرفه.

(٣) لم أعرفه، إلا أن يكون تصحيف عن «فُراوه»: بليدة من ثغر خراسان، تقع موضعها اليوم مدينة سردار في ولاية بلقان في تركمانستان.

(٤) «علنًا في» غير محرر في الأصل، هذه صورته: أن نصلي علنا الا البيت. وفي مصادر التخريج: «حول البيت ظاهرين/ بالبيت/ عند الكعبة».

(٥) كذا، مع أن المذكور تتمة نفس الأثر.

(٦) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٢٠٧، ١٣٥٢) والقطيعي في زوائده علىٰ «فضائل الصحابة» (٤٨٢) وابن عساكر في «التاريخ» (٤٤/ ٤٧) من رواية المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن جده بنحوه. وهو أثر حسن علىٰ إرسال فيه، فإن القاسم لم يلق جدَّه، ولأكثر فقراته طرق أخرىٰ عن ابن مسعود.

وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالىٰ ضرب الحقَّ علىٰ لسان عمر وقلبه**»(١).

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدُوا باللَّذين من بعدي، أبي بكر وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الدرجات من أهل الجنة ليراهم مَن هو أسفل منهم كما ترون الكوكبَ الدريَّ في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **منهم**»(٣).

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأىٰ أبا بكر وعمر يقول: «**إن هـذين مني بمنزلة السمع والبصر**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٥١٤٥) والترمذي (٣٦٨٢) وابن حبان (٦٨٩٥) من حديث ابن عمر. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وفي الباب عن الفضل بن العباس، وأبي ذر، وأبي هريرة».

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥) والترمذي (٣٦٦٢، ٣٦٦٣، ٣٧٩٩) والحاكم (٣/ ٧٥) وغيرهم من حديث حذيفة. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه أحمد (١١٢١٣، ١١٤٦٧) والترمذي (٣٦٥٨) وأبو داود (٣٩٨٧) وغيرهم، من طُرق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وعطية العوفي ضعيف في الحديث، وقد توبع عند أحمد (١١٢٠٦) من طريق مجالد عن أبي الودَّاك عن أبي سعيد بمثله، ومجالد ضعيف أيضًا.

هذا، وأصل الحديث متفق عليه (خ ٣٢٥٦، م ٢٨٣١) بلفظ: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءَون الكوكبَ الدريَّ الغابرَ في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضلِ ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم! قال: «**بلىٰ، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٧١) وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (٢١١٠) ـ وعنه =

وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] يعني: أبا بكر وعمر[1].

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن عباس: نزلت في أبي بكر وعمر[2].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أوّلهم أبو بكر ثم عمر.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الآية [الحشر: ٨]، أولهم أبو بكر ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، فمن عقد لهما غِلًّا فليس له نصيب في الفيء.

ooo

=

الآجري (١٣٢٢) ـ والحاكم (٣/ ٦٩) وغيرهم من حديث عبد الله بن حنطب بلفظ: «هذان السمع والبصر». قال الترمذي: «هذا حديث مرسل، عبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ». كذا جزم به مع أنه في بعض طرق الحديث: «كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر...». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وتعقبه الذهبي فقال: «حسن». وانظر: «الصحيحة» (٨١٣، ٨١٤).

(١) روي ذلك عن سعيد بن جبير والضحاك. وروي عن نافع قال: مع محمد ﷺ وأصحابه. «تفسير الطبري» (١٢/ ٦٨) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٦).

(٢) لم أجده عن ابن عباس. وإنما روي ذلك عن عكرمة. أخرجه الطبري (٧/ ١٨٢) وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٩).

## باب فضائل عثمان - رضي الله عنه- منفردًا

والدليل علىٰ أن عثمان بن عفان أفضل هذه الأمة بعد هذين أبي بكر وعمر: لأن النبي ﷺ زوَّجه بالابنتين، وكان لذلك يقال له: ذو النورين.

وقال النبي ﷺ: «**لو كان لنا ثالثةٌ لزوَّجناكها يا عثمان**»(١).

وضمِن له النبي ﷺ الجنةَ ثلاث مراتٍ:

**إحداها**(٢): لمَّا اشترىٰ بئر رُومة وأوقفه(٣) علىٰ المسلمين، وكان ذلك ليهودي يبيع الدلْوَ منه بدرهم، فقال النبي ﷺ: «**من يشتري بئرَ رومةَ أضمَنْ له علىٰ الله الجنة**»، فقال عثمان: أنا يا رسول الله، فاشتراه وأوقفه علىٰ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٨٤) عن عصمة بن مالك الخَطْمي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بلفظ: «**زَوِّجُوا عُثمانَ؛ لو كان لي ثالثةٌ لَزَوَّجتُه**»، وإسناده واهٍ بمرَّة. وأخرج أبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٥٢٢٨) نحوه من حديث عُمارة بن رُؤيبة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، وإسناده واهٍ أيضًا. وروي نحوه من مرسل عبد الله بن الحسن وعبد الله بن الحرّ الأموي في زوائد «فضائل الصحابة» لأحمد (٧٨٢، ٨٣١).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٤٣٧) والآجري في الشريعة (١٤١٠) عن أبي هريرة بلفظ: «**فلو كنَّ عشرًا لزوجتُهن عثمان**». وفي «الأوسط» للطبراني (٦١١٦) عن ابن عباس نحوه. وفي «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٩) عنه من طريق آخر: «**لو أنَّ عندي مائةَ بنتٍ...**». وفيه (٣٩/ ٤٢) عن عليّ: «**لو أنَّ لي أربعين ابنة...**». وفي زوائد «فضائل الصحابة» (٨٥٦) عن عثمان: «**لو كان عندنا شيء زوَّجناه**». وكلٌّ واهٍ لا يثبت.

(٢) في الأصل: «إحداهما».

(٣) كذا، والجادة: «وقفَها».

المسلمين، فضَمِن له علىٰ الله الجنة[١].

۞ عُسِر علىٰ النبي ﷺ في عطية الجيش، فقال: «**من يجهِّزُ جيش العُسرَة وأنا أضمن له علىٰ الله الجنة؟**»، فقام عثمان وقال: أنا يا رسول الله، فأَحْدَجَ[٢] تسع مائة وثلاث[٣] وتسعين ناقةً، وأضاف إليها سبعة أفراسٍ [ق٢٠] تمام ألف وجهَّز العسرة[٤].

۞ وضَمِن له أيضًا بالزَّنَقة[٥] التي كانت في المسجد ليهودية، فقال النبي ﷺ: «**من يشتري الزَّنَقة وأنا أضمن له علىٰ الله الجنة؟**»، فقال له عثمان: أنا يا رسول الله، فاشتراها بعشرين ألفًا وأدخلها في المسجد[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٣) والنسائي (٣٦٠٨) والدارقطني (٤٤٣٧) من حديث عثمان بنحوه، ولفظه: «**من يشتري بئرَ رومةَ فيجعل دلْوَه فيها مع دلاء المسلمين بخيرٍ له منها في الجنة؟**». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) أَحْدَجَ الناقة: شدَّ عليها القَتَب ـ وهو إكافها ـ بجميع أداته. وقد روي أنه جهَّزها «حتىٰ لم يفقدوا عقالًا ولا خطامًا». أخرجه أحمد (٥١١) والنسائي (٣١٨٢) وابن حبان (٦٩٢٠) من حديثه.

(٣) في الأصل: «ثلاثة».

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) من حديث عثمان بلفظ: «**من جهَّز جيشَ العُسرة فله الجنة**»، وليس فيه قدر ما جهَّزه به. وروىٰ ابن أبي شيبة (٣٢٦٩٤) عن قتادة مرسلًا أن عثمان «حمل في جيش العسرة علىٰ ألف بعيرٍ إلا سبعين كمَّلها خيلًا».

(٥) في الأصل هنا وفي الموضع الآتي: «الرفيقة»، والظاهر أنه تصحيف عن المثبت من رواية ابن أبي شيبة والبزار الآتي تخريجها.

(٦) انظر تخريج حديث بئر رومة، ولفظه فيه: «**من يشتري بقعةَ آل فلانٍ فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟**». وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٧١٨) والبزار (٤٤٨) من طريق آخر بنحوه. وليس في الروايتين بكم ابتاعها. وعند النسائي (٣١٨٢) =

وقال النبي ﷺ: «**لكل نبي رفيق، ورفيقي عثمان بن عفان في الجنة**»(١).

وقيل للنبي ﷺ: أفي الجنة برقٌ؟ فقال: «**لا، ولكن إذا زُفَّ عثمان بن عفان من غرفة إلىٰ غرفة تزيَّنت الجنةُ من نوره**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**يدخل الجنة يوم القيامة في شفاعة عثمان بن عفان سبعون ألفًا بغير حساب**»(٣).

وقد قيل في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]: نزلت في عثمان خاصة(٤).

---

= والدارقطني (٤٤٣٦) والبيهقي (٦/ ١٦٧) من طريق آخر أنه ابتاعها بـ«بعشرين ألفًا أو بخمسة وعشرين ألفًا».

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٩٨) وأبو يعلىٰ (٦٦٥) من حديث طلحة بن عبيد الله بإسناد ضعيف، قال الترمذي: «هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي، وهو منقطع». وروي من حديث عثمان وأبي هريرة، ولكنهما واهيان أيضًا. انظر: «العلل المتناهية» (٣٢٣، ٣٢٤) و«أنيس الساري» (١٣٠٩).

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٧) والحاكم (٣/ ٩٨) من حديث سهل بن سعد بنحوه. قال ابن عدي: باطل بهذا الإسناد. وقال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: ذا موضوع. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٦٢٢).

(٣) أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ١٢٢، ١٢٣) من حديث ابن عباس، وهو حديث منكر لا يصح. انظر: «الضعيفة» (٤٣٧١، ٥٢١٠).

(٤) أخرج أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٧١) وابن أبي شيبة (٣٢٧١٥) والطبري (١٦/ ٤١٥) بإسناد صحيح عن علي أنه قال في هذه الآية: «عثمان منهم». وأما كونها نزلت في عثمان خاصَّة فسياق الآيات يأباه، فإنها فيمن عُبد من دون الله أنه من حصب جهنَّم مع عابديه، ثم استُثني من المعبودين من سبقت لهم من الله الحسنىٰ.

وقد قيل: إنه كان في عهد النبي ﷺ يقال: إن أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين، والنبي ﷺ يسمع ولا ينكر(١).

وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه قال ﷺ: **«دُلِّيَ من السماء ميزانٌ، فوُزِنتُ بأبا بكر(٢) فرَجَحْتُ، ووُزِن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر، ووُزِن عمر بعثمان فرجح، ثم رُفِع الميزان»**(٣).

وقد كان النبي ﷺ جعل لعثمان يوم بدر سهمين من الغنيمة لأنه خلفه في المدينة(٤)، ورمىٰ له في وجه العدو سهمًا وقال: **«هذا لأجل عثمان»** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥).

OOO

(١) صحَّ نحو ذلك عن ابن عمر، ولكن ليس فيه ذكرُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل فيه: «ثم عثمان، ثم نترك/ نسكت». أخرجه البخاري (٣٦٩٧) وابن حبان (٧٢٥١). وأما زيادة أنه كان يبلغ النبي ﷺ ذلك فلا ينكره، فعند ابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٧، ١٢٣٠) وعبد الله بن أحمد (١٣٣٥) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٨٥) من طرق.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) هذه رؤيا رآها بعض الصحابة فقصَّها علىٰ النبي ﷺ. أخرجه أحمد (٢٠٤٤٥) وأبو داود (٤٦٣٤) والترمذي (٢٢٨٧) والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٠٨٠) وغيرهم من حديث أبي بكرة. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٤) خلفه ليمرِّض بنت رسول الله ﷺ التي كانت تحته، فأسهم له رسول الله ﷺ وقال: **«إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهد بدرًا وسهمَه»**. أخرجه البخاري (٣٣١٠). وأما ما ذكره المؤلف بأنه ﷺ جعل له سهمين، فمخالف للحديث المذكور ولما ذكره أهل المغازي. انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٧٨) و«مغازي الواقدي» (١/ ١٠١).

(٥) لم أقف عليه.

## باب من فضائل علي -رضي الله عنه- منفردًا

ثم إن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ليس في هذه الأمة بعد هذه الثلاثة النفر أفضلُ منه، لما قد رُوِي في الأخبار من فضله.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«أنا في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة»**(١).

وقال النبي ﷺ: **«أرأفُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفضلهم(٢) بالعدل علي رضي الله عنهم أجمعين»**(٣).

فدلَّ علىٰ أن علي بن أبي طالب أفضل هذه الأمة بعد هذه الثلاثة.

وقال النبي ﷺ لعليٍّ حين خرج في بعض غزواته وخلَّفه علىٰ أهله: **«اخلُفني في أهلي»**، فقال: يا رسول الله، يفوز أصحابك بالأجر والغنيمة وتُخلِّفني علىٰ النسوة؟ فقال له النبي ﷺ: **«أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ»**(٤).

---

(١) جزء من حديث سعيد بن زيد في العشرة المبشَّرين بالجنة، وقد تقدَّم تخريجه، وزيادة «أنا في الجنة» في أوله عند الحميدي (٨٤).

(٢) كذا في الأصل، وأخشىٰ أن يكون تصحيفًا عن «أقضاهم».

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٥٧٦٣) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٣١١) من حديث ابن عمر، وإسناده واهٍ. وروي نحوه من حديث أنس عند أحمد (١٢٩٠٤) والترمذي (٣٧٩١) ـ وقال: حديث حسن صحيح ـ وابن ماجه (١٥٤) وابن حبان (٧١٣١) والحاكم (٣/ ٤٢٢)، ولكن ليس عندهم ـ حاشا ابن ماجه ـ موضع الشاهد: «وأقضاهم علي».

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص بنحوه.

قال: فلما نزلت سورة براءة وقد ولّىٰ أبا[1] بكر الحجَّ ليحُجَّ بالناس بمكة، فقال النبي ﷺ: «**لا يُؤَدِّيها إلا أنا أو رجل منِّي**»[2]، فبعث عليًّا ليؤدِّيها فأقامه مُقام نفسه.

عن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أبغَض عليًّا في حياته وبعد وفاته مات موتة جاهلية وحوسب عليه بما عمل**»، وقال رسول الله ﷺ: «**مَن أحبَّ عليًّا في حياته وبعد وفاته كُتِب له من الأمن والإيمان بعدد ما طلعت عليه الشمس وغربت**»[3].

وقال ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يقوم علىٰ حوضي أبو بكر يسقي أمتي، وعمر علىٰ الميزان يشفع لهم ويُثقِّل موازينهم، وعثمان علىٰ باب الجنة يشفع لأمتي في دخول الجنة، وعليٌّ يقوم علىٰ الصراط يشفع لأمتي في الجواز عليه**»[4].

ورُوِي عن الزهري عن سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في تفسير

---

(١) في الأصل: «أبي».

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢١٤) والترمذي (٣٠٩٠) والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٤٠٦) وأبو يعلىٰ (٣٠٩٥) من حديث أنس بنحوه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث أنس». وقد صحَّ عند البخاري (٣٦٩) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ أردف عليًّا في تلك الحجة ليؤذن بالبراءة.

(٣) أخرجه أبو موسىٰ المديني في «تتمة معرفة الصحابة» ـ ومن طريقه أبو موسىٰ الرُّعَيني في «الجامع لأسماء الصحابة» (٥/ ٣٩٠) ـ من حديث يحيىٰ بن عبد الرحمن الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وإسناده واهٍ بمرَّة. وأخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١٢١٥) من حديث زيد بن أرقم بنحوه، وإسناده ضعيف أيضًا.

(٤) لم أجده، وأمارات الوضع عليه لائحة!

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ يعني: هو الدهر[1] ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ يعني: أبا جهل، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أبا بكر، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عمر، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ عثمان، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[2].

ورُوِي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحبَّ أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحبَّ عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحبَّ عثمان فقد استنار بنور الله تعالىٰ، ومن أحبَّ عليًّا فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ**»[3].

ورُوي في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ عثمان، ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ علي بن أبي طالب، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩][4].

○○○

---

(١) أخشىٰ أن يكون تصحيفًا عن: «يعني: والدهر».

(٢) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٠/ ٢٤٤-٢٤٦) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، وعن ابن عباس موقوفًا عليه، وإسناد كليهما مُظلم. وعزا السمرقندي في «تفسيره» نحوه إلىٰ علي. ولم أجد من ذكره عن الزهري عن ابن المسيب.

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٢٣١) من قول التابعي الجليل أيوب السَّختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ موقوفًا عليه. وليس بحديث مرفوع إلىٰ النبي ﷺ.

(٤) تقدم تخريجه (ص٧٦).

# باب في الروح

والإيمان بأن روح الإنسان مخلوقة، والأرواح كلها مخلوقة، ليس بين الله وبين الخلق نَسَبٌ، وكذلك روح عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ مخلوق[1].

فمن قال: إن الروح من ذات الله أو جزء منه، فقد كفر، وهو قول النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ.

وأن الله تعالىٰ خلق الأرواح سِرًّا وأدخلها في الخلق سِرًّا ويخرجها. ولا يخرجها من إنسان ويُدخلها في غيره.

ولا يعلم أحدٌ كيفيته ولا حدَّه ولا وصفه إلا الله الواحد القهار.

وقال النبي ﷺ: **«الأرواح جنود مُجَنَّدة، تَشَمُّ بعضها بعضًا كما تشامُّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**[2].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خلق الله تعالىٰ الأرواح من سبعة أجزاء: جزء

---

(١) قال الإمام محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤): «لا خلاف بين المسلمين في أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسىٰ ومَن سواه من بني آدم كلها مخلوقة». «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٥٠٦). وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢١٦).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «أمثال الحديث» (١٠٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بإسناد ضعيف. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٦٢٠) والنَّمَري في «التمهيد» (١٧/ ٤٣٧) موقوفًا علىٰ ابن مسعود، وهو أشبه، وفي إسناده لين أيضًا.

وقد صحَّ أصل الحديث عند البخاري (٣٣٣٦) عن عائشة، وعند مسلم (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا دون ذكر التشامِّ.

من الحرّ، وجزء من البرد، وجزء من الريح، [ق٢١] وجزء من الطيب، وجزء من الفهم، وجزء من البقاء، وجزء من النور(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ(٢) وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فكان النداء من الخالق والجواب من المخلوقين.

وروي عن الزهري أنه قال: سئل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، لأن أمره «كُنْ»، والـ«كُنْ» كلامه، وكلامه غير مخلوق، وما يكون وما يظهر فهو مخلوق، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. قال: كُنْ أمره، والأمر كلامه، وليس كلامه بمخلوق، وما يكون بأمره ـ يعني بكلامه ـ فهو مخلوق(٣).

وسئل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تفسير هذه الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، قال: إن اليهود ـ لعنهم الله ـ سألوا النبي ﷺ عن الروح

---

(١) ما قال ابن عباس ذلك، ولا ينبغي له! ونقل الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٦٧) عن بعض الحكماء ـ أي الفلاسفة ـ قال: «إن الله تعالىٰ خلق الأرواح من ستة أشياء: من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو».

(٢) كذا في الأصل علىٰ قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) لم أجده عن ابن مسعود. وهذا التفصيل قد ذكره أئمة السنة في الرد علىٰ الجهمية القائلين: إن كلام الله مخلوق، والنصارىٰ القائلين: إن عيسىٰ غير مخلوق، فإن ضلال كليهما من عدم التفريق بين «كُن» الذي هو كلام الله وبين المكوَّن المخلوق به. انظر: «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد (ص٢٤٩-٢٥٢).

تعنّتًا لا تفقّهًا، فأنزل الله تعالىٰ ولم يطلعهم عليه، كما سألوه عن القيامة فأخفاها عنهم، حيث قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧][١].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، فإن الروح هاهنا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] أراد به مَلكًا في القيامة[٢].

وروي عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ عن الروح أهو مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: أرواح الخلائق كلُّها الصالحُ والطالحُ مخلوقات، ولو لم تكن مخلوقاتٍ لما عُذِّب الأرواحُ مع الأجساد في نار جهنم[٣].

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إذا أدركتم أقوامًا يزعمون أن الأرواح ليست بمخلوقة فاقتلوهم فإنهم إخوان النصارىٰ[٤].

---

(١) لم أجد حديث أنس، ولكن صحَّ عند مسلم (٢٧٩٤) من حديث ابن مسعود أن آية الإسراء نزلت في سؤال اليهود عن الروح. وروي عن ابن عباس أن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ نزلت في سؤال بعض اليهود المتعنِّتين. أخرجه الطبري (١٠/ ٦٠٤).

(٢) روي عن ابن عباس: إنه ملك أعظم الملائكة خلقًا. وقيل: إن الروح هو جبريل. انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٦-٤٧) و«معالم التنزيل» (٨/ ٣١٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه، ولا إخاله يصح.

قد أنزل الله في محكم كتابه حكمها، قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، أراد بالجنود: أرواحَ الخلائق كلَّها[١].

ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن أرواح الخلائق كلها مخلوقة، فمن قال إنها غير مخلوقة فهو حلوليٌّ خُرَّمي[٢] كافر بالله وبآياته، وهم أتباع الإسماعيلية لعنهم الله، وهم صنف من الروافض، رادُّون على الكتاب والسنة.

وقد رُوي في الأخبار الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أرواح الشهداء في قناديل تحت العرش في حواصل طيور خُضرٍ تسرح في الجنة**»[٣].

وأرواح الكفار والفجار في بَرَهوت السفلى[٤]، وأرواح المؤمنين في

---

(١) كذا، وسياق الآية على أن المراد: الملائكة.

(٢) نسبة إلى بابك الخُرَّمي، الثَّنَوي المَزْدكي الذي خرج بأتباعه من أذربيجان زمن المأمون والمعتصم وعاث في الأرض فسادًا عشرين سنة، يهزم الجيوش ويخرِّب البلاد، حتى قبض عليه وقتل سنة ٢٢٣ بين يدي المعتصم. انظر: «الفرق بين الفرق» (ص٢٦٦-٢٦٩) و«الوافي بالوفيات» (١٠/ ٦٢).

(٣) صحَّ ذلك من حديث ابن مسعود عند الدارمي (٢٤٥٤) ومسلم (١٨٨٧) والترمذي (٣٠١١) وغيرهم، ومن حديث ابن عباس عند أحمد (٢٣٨٨) وأبي داود (٢٥٢٠) والحاكم (٢/ ٨٨).

(٤) برهوت وادٍ بحضرموت فيه بئر عميقة لا يُستطاع النزول إلى قعرها. روي في بعض الآثار أنه تجتمع فيها أرواح الكفار، كما في أثر عليٍّ عند عبد الرزاق (٩١١٨) والفاكهي في «تاريخ مكة» (١١١٠، ١١١١)، وأثر عبد الله بن عمرو بن العاص عند ابن حبان (٣٠١٣).

قناديل تحت عرش الرحمن[1].

وقال الجنيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اختلف الناس في الأرواح، واختصرتُ من أقاويلهم علىٰ الصواب من ذلك، فبالله التوفيق: الأرواح كلها مخلوقة، وهي أمرٌ مِن أمر الله، أي مخلوقة بأمر الله، بان اللهُ منها وبانت منه، ليس بين الله وبينها نسب من ذاته، غير أنها من مُلكه وطوعه وفي قبضته، وهي غير متناسبة ولا متناسخة تخرج من جسم وتدخل في جسم، خلق الله روح آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الملكوت الروحانية وجسمَه من التراب، فالروحُ لينة والجسمُ بارد يابس.

والروحُ روحانية ملكوتية نوارنية والنفسُ طينية نارية[2]، منها ابتُلِي الخلق، ولا عدوَّ[3] أعدىٰ لابن آدم من نفسه من لدُن العرش إلىٰ قرار الأرضين، فالنفس نفس الهوىٰ والشهوة، فهي الأمَّارة بالسوء ومسكنها الطمع، ويظهر سلطانها [بالأخلاق][4] المذمومة وطبعها الجهل، والروح موضع العقل والعلم ومسكنها القلب، تضيء أنوارُها في الجوارح، ويظهر سلطانها بالأخلاق المحمودة، ولحوقها غير مدركة[5]، ومرتبتها غير

---

(١) صحَّ نحو هذا المعنىٰ من حديث كعب بن مالك مرفوعًا بلفظ: «**نسمة المؤمن طائر يَعْلُقُ ـ أي: يأكل ـ في شجر الجنة، حتىٰ يرجعه الله إلىٰ جسده يوم يبعثه**». أخرجه مالك (٦٤٣) وأحمد (١٥٧٧٦) والنسائي (٢٠٧٣) وابن حبان (٤٦٥٧) وغيرهم.

(٢) هذا التفريق بين الروح والنفس قول طائفة من أهل الحديث والفقه والتصوف، والجمهور علىٰ أنهما شيء واحد. انظر: «كتاب الروح» لابن القيم (ص٥١٣-٥٢١).

(٣) في الأصل: «عدوًّا».

(٤) زيادة يقتضيها السياق، وسيأتي في مقابلها: «بالأخلاق المحمودة».

(٥) كذا في الأصل.

مشهودة، وقِوام النفس الروح، والروح صورة العبد، وبالله التوفيق[1].

وقال بعض العلماء: إن الروح إذا فارق الجسد تكون على ثمانية أقسام:

(١) روح الكفار تُحمَل إلىٰ سجِّين وهي صخرة في جهنم لقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧].

(٢) وروح المؤمن الذي تكون عليه تَبِعة تُمسَك في الهوىٰ لا تصعد ولا تنحدر إلىٰ أن يقضي الله من أمره ما يشاء.

(٣) وروح المؤمن الذي لا يكون عليه تبعة تُدفَع إلىٰ علِّيِّينَ لقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: ١٨]

(٤) وأرواح أطفال المؤمنين في روضة من رياض الجنة يرتعون بين يدي إبراهيم الخليل وسارة رضوان الله عليهما[2].

(٥) وأرواح أطفال المشركين تكون خارجًا من الجنة لا بمنزلة أولاد المسلمين إلىٰ يوم القيامة، ويستخدمهم أهل الجنة[3].

---

(١) لم أقف علىٰ قول الجنيد هذا.

(٢) يدل علىٰ ذلك حديث سمرة بن جندب عند البخاري (٧٠٤٧)، إلا أنه ليس فيه ذكر سارة، وفيه: «فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين».

(٣) روي أن أطفال المشركين «خدم أهل الجنة» من حديث أنس عند الطيالسي (٢٢٢٥) والبزار (٧٤٦٦) وأبي يعلىٰ (٤٠٩٠) والطبراني في «الأوسط» (٢٩٧٢، ٥٣٥٥) من طرق كلها واهية. وله شاهد من حديث سمرة عند البزار (٤٥١٦) والطبراني في «الكبير» (٦٩٩٣) و«الأوسط» (٢٠٤٥)، ولكنه ضعيف أيضًا.

﴿٦﴾ وأرواح الصالحين تُرفَع في الجنة من شجرة إلىٰ شجرة.

﴿٧﴾ وأرواح الشهداء تأوي إلىٰ قناديلَ معلقةٍ تحت العرش.

﴿٨﴾ وأرواح الأنبياء في حضيرة القدس يخِرُّون لربهم [ق٢٢] سُجَّدًا.

ومن الأرواح من ترجع إلىٰ قبورهم حيث دُفَنوا[١]، وينصرفون إلىٰ ما أراد الله. والله أعلم.

ooo

---

(١) في الأصل: «يدفنوا»، والمثبت أشبه.

# باب في عذاب القبر

والإيمان واجب بعذاب القبر ونعيمه وإقامتِها على النفوس في الروح والجسد. قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١][(١)].

وقال النبي ﷺ: «**لو نجا أحدٌ[(٢)] من عذاب القبر لنجا سعد بن معاذ**»[(٣)].

والدليل على إثباته قولُ الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى

---

(١) الاستدلال بهذه الآية على نعيم القبر وعذابه إنما يتم على تفسير السُّدِّي للموتتين والحياتين، فإنه قال: «أُميتوا في الدنيا، ثم أُحيُوا في قبورهم فسُئلوا أو خوطبوا، ثم أُميتوا في قبورهم، ثم أُحيوا في الآخرة». وروى السدِّي نحوه عن أبي صالح باذام في نظير هذه الآية في البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾. وجمهور المفسرين على أن الموت الأول حين لم يكونوا شيئًا، ثم أحياهم حين خلقهم، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم القيامة. انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٩٢؛ ١/ ٤٤٥) و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٨) و«جامع المسائل» لشيخ الإسلام (٤/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) في الأصل: «أحدًا».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٢٧) والبيهقي في «عذاب القبر» (١١٠) من حديث عائشة، وفي إسناده ابن لهيعة. وأخرجه أحمد (٢٤٢٨٣) وابن حبان (٣١١٢) والبيهقي في «عذاب القبر» (١٠٦، ١٠٧) وغيرهم من طريق آخر بلفظ: «للقبر ضغطةٌ، لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعد بن معاذ». قال العراقي: إسناده جيد؛ «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١٢٣٧).

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: الآخرة أراد به القبر(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] يعني القبر(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الميتَ لَيعرفُ الزائرَ إذا أتاه، والمؤمن يُنعَّم في القبر كيف شاء الله، والفاجر يعذَّب في القبر كيف شاء الله**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**قبر المؤمن رَوضة من رِياض الجنَّة، وقبرُ الفاجر حفرةٌ من حُفَر النار**»(٤).

---

(١) يشير إلىٰ قوله ﷺ: «**نزلَتْ في عذاب القبر، فيقال له: من ربك فيقول: ربي الله، ونبيِّي محمد ﷺ**». أخرجه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١/ ٧٣) واللفظ له. قوله ﷺ: «**نزلت في عذاب القبر**» وجهه: أن فيها ذكرَ من يثبِّته الله ومن يضلُّه عند سؤال الملكين في القبر، ويترتَّب عليه أن من ثبَّته الله يوقىٰ عذاب القبر، ومن أضلَّه يعذَّب.

(٢) روي ذلك عن مجاهد بإسناد ضعيف عند الطبري (١٨/ ٦٣١). وكذا رواه شريك عن أبي إسحاق عن البراء أو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود - علىٰ الشك - كما أسنده عنه هنَّاد في «الزهد» (٣٤٥)، ومن طريقه الآجري (٨٥٤) وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٦). والصحيح - كما هو قول الجمهور - أن العذاب الأدنىٰ في الدنيا لقوله في تتمة الآية بيانًا للحكمة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

(٣) لم أجد من ذكر هذه العبارة حديثًا، وإنما قالها البربهاريُّ في «شرح السنة» (ص٨٣-٨٤) وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة» (٢/ ٤٦٧ - وكأن فيها سقطًا).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد بنحوه، وإسناده واهٍ، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٦١٣) من حديث أبي هريرة، وإسناده أوهىٰ من سابقه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ يعني به المؤمنين ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ يعني به أهل الشرك والفجور [الإنفطار: ١٣-١٤].

وإن نعيم القبر وعذابه حقٌّ، بذلك ثبتت الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وقد قال: «**إن هذه الأمة لَتُبتلىٰ في قبورها**»[1].

وقال أيضًا: «**المؤمن يُفسَح له في قبره مِن إيلياءَ إلىٰ صنعاء**»[2]. وفي خبر آخر أنه قال: «**سبعون ذراعًا**»[3].

ونعيم القبر وعذابه يصيب الجسد والروح وكُلِّيَّةَ الإنسان. ويقال للمؤمن: انظر يا ولي الله إلىٰ ما أعدَّ الله لك، وذلك أنَّ بابًا يُفتَح له عند رأسه إلىٰ الجنة، ويُفتَح له عند رجليه بابًا[4] إلىٰ النار ويقال له: انظر إلىٰ ما زوىٰ الله عنك[5].

---

(١) أخرجه أحمد (١١٠٠٠) ومسلم (٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد.

(٢) لم أجده، وقد ورد «من أيلةَ إلىٰ صنعاء» في وصف حوض النبي ﷺ كما في حديث أبي برزة عند أحمد (١٩٨٠٤) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس. وأخرجه الترمذي (١٠٧١) وابن حبان (٣١١٣، ٣١١٧) من حديث أبي هريرة.

(٤) كذا في الأصل، والوجه الرفع.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٦٧٠٣) وابن أبي شيبة (١٢١٨٨) وابن حبان (٣١١٣) والطبراني في «الأوسط» (٢٦٣٠) والحاكم (١/ ٣٨٠) من حديث أبي هريرة بنحوه ضمن حديث طويل، إلا أنه ليس فيه التحديد جهة البابين. في روايةٍ من حديث البراء الطويل عند ابن منده في «كتاب الروح والنفس» ـ كما في «الروح» لابن القيم (١/ ١٣٤-١٣٦) ـ بإسناد فيه لين: «فُتح له باب عند رجليه إلىٰ الجنة... ويُفتح له بابٌ عند رأسه إلىٰ النار»؛ عكس ما هنا.

فأما الروح فإنها تباشر النعيم والعذاب وتُصلىٰ الجحيم وتُسجَن في سِجِّين، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨- ٩٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] يعني به أرواح الكفار[١].

فأما الجسد، فسائر ما فيه تُبعث إليه النار ويُفتح له بابًا[٢] من النار ويضيق عليه في لحده كيف شاء الله، وكذلك يصيب النعيم إلىٰ من يشاء كيف شاء الله. ولله تعالىٰ في ذلك علمٌ وسِرٌّ وقدرة لا تُدرَك[٣] بالقياس ولا بالعقل، ولا يُذكر فيه إلا بما دلَّ عليه في القرآن والسنة.

والدلالة أيضًا علىٰ إثبات عذاب القبر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وليس في القيامة غدوًّا وعشيًّا[٤]، ويكون ذلك في

---

(١) قال كعب الأحبار وقتادة في ﴿سِجِّينٍ﴾: هي الأرض السفلىٰ، فيها أرواح الكفار. أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩٣، ١٩٤). وروي عن غيرهما، انظر: «الدر المنثور» (١٥/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) كذا في الأصل بالنصب، والوجه الرفع.

(٣) نقطه في الأصل بالياء والتاء معًا.

(٤) كذا في الأصل بالنصب علىٰ حكاية لفظ الآية. ولتقرير أنه ليس في الآخرة غدو ولا عشي انظر تأويل السلف لقوله تعالىٰ في وصف الجنة: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]؛ «تفسير يحيىٰ بن سلَّام» (١/ ٢٣٢)، «الطبري» (١٥/ ٥٧٦، ٥٧٧)، «الكشف والبيان» (١٧/ ٤١٢-٤١٤).

القبر. والدلالة الثانية في الآية التي يذكر فيها[(١)]: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فأفرد الله تعالىٰ ذكر القيامة عن ذكر القبر[(٢)].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، والكافر معيشته في الدنيا غير «ضنكًا»[(٣)]، لقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣][(٤)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]؛ فدلَّ أن معيشة الضنك تكون في القبر، لأن ذكر القيامة قد انفردت، والكافر موسَّع عليه في الدنيا[(٥)].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لولا أن لا تدافنوا لسألتُ الله أن يُسمعكم**

---

(١) كذا السياق في الأصل، والمراد: والدلالة الثانية التي ذُكرت في الآية.

(٢) وقد قرَّر ذلك أئمة السنة، انظر: «تأويل مشكل القرآن» للقُتَبي (ص١٢٩) و«التوحيد» لابن خزيمة (٢/ ٧٤٥) و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٣٠). ومن قبلُ قد أورد الإمام البخاري هذه الآية تحت «باب ما جاء في عذاب القبر» من «صحيحه».

(٣) كذا في الأصل علىٰ الحكاية.

(٤) وجه الاستدلال بالآية ـ والله أعلم ـ أنها تُشير إلىٰ أن الله وسَّع علىٰ الكفار في الدنيا وإن لم يكن بهذه الدرجة التي نُفيت بـ«لولا» الامتناعية، فلولا أن يصير الناس كلُّهم كفَّارًا لوسَّع عليهم أكثرَ بإعطائهم ما ذُكر.

(٥) قد فسَّر ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري ـ وكذا غير واحد من التابعين ـ ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ بعذاب القبر، وروي ذلك عنهم مرفوعًا، ولكن الموقوف أصح. انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ١٩٦-١٩٨) و«إثبات عذاب القبر» للبيهقي (ص٥٩-٦٢) و«تفسير ابن كثير».

عذابَ القبر»[١].

والدلالة الثالثة[٢]: قول الله تعالىٰ حيث قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فأما في الحياة الدنيا فيبشِّرهم بجزيل الثواب عند الموت إذا نزل بهم، ألا تسمع قولَه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾[٣] علىٰ ما وراءكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ علىٰ ما خلَّفتم من صنيعكم، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ إلىٰ قوله ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، فدلَّ أن بشاراتهم تَرِد عند الموت عليهم في دار الدنيا.

وقال تعالىٰ في قصة الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فأخبر أن بشاراتهم تَرِد عليهم في الدنيا والآخرة؛ فإذا قُبِضت أرواحهم تُرفَع أرواح المؤمنين وتُوضَع[٤] أرواح الكافرين.

ooo

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧، ٢٨٦٨) من حديث زيد بن ثابت وأنس.

(٢) كذا في الأصل، ولم يتبيَّن وجه كونها ثالثة.

(٣) في الأصل هنا زيادة: ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾، ولعله سهو، وسيأتي مع تفسيره.

(٤) في الأصل: «تُضَع».

# باب في منكر ونكير

والإيمان بمنكر ونكير ومُساءَلتهما واجب، وأن الله تعالىٰ يبعث بهما إلىٰ القبور، وهما فتّانا القبور. وقد قال النبي ﷺ لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**كيف بك يا عمر إذا أتياك فتَّانا القبر يبحثان القبرَ بأنيابهما ويبحثان الترابَ بأشفار[هما]**(١)**، أعيُنُهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، بأيديهما مِرزَبَّة لو اجتمع** [ق٢٣] **عليها أهل المَوسِم علىٰ حملها لما أطاقوا، هي أخفُّ في أيديهما كالقضيب الذي كان بيدي، ويسألان العبدَ عن ربه وعن دينه ونبيِّه، فمن أَفْلَجَ حُجَّتَه**(٢) **نجا، ومن تحيَّر في سؤالهما هلك وعطب**»(٣).

---

(١) لعله سقط ما بين الحاصرتين لتوهُّم إضافة «أشفار» إلىٰ «أعينهما». وفي أكثر المصادر: «أشعارهما». وفي «شعب الإيمان»: «أشفاههما»، ولعله تصحيف عن المثبت.

(٢) أي: قوَّمها وأظهرها.

(٣) لم أجده بتمامه بهذا السياق، ولكن أخرجه بنحوه دون «فمن أفلج...» إلخ ابنُ أبي داود في «البعث» (٧) والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٠٥) وقوام السنة في «الحجة» (٣٢٤، ٣٢٥) من حديث عمر بإسناد واهٍ.

وأخرجه عبد الرزاق (٦٧٣٨) وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٨٠) عن عمرو بن دينار مرسلًا. وأخرجه الحارث (المطالب: ٤٥٣١) والبيهقي في «عذاب القبر» (١٠٣) عن عطاء بن يسار مرسلًا.

وأخرجه البيهقي (١٠٤) من حديث ابن عباس، ولكن إسناده تالف، فيه الواقدي.

وله شاهد بإسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب عند الطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ٥٠٠-٥٠١) وابن منده في «الروح والنفس» ــ كما في «الروح» لابن القيم (١/ ١٣٠-١٣٣) ــ والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩١).

وروي عن النبي ﷺ أنه مرَّ بقبرين فقال: «**إنهما يُعذَّبان، ما يُعذَّبان بكبيرة، أحدهما أنه كان لا يتوقَّىٰ من البول، والآخر كان يمشي بالنميمة**»[1]. فدلَّ ذلك علىٰ أن الكافر والظالم يُعذَّبان في قبورهم علىٰ قدر ذنوبهم، فالمؤمن لا يكون لهما عليه سبيل، فهو قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم: ٦][2].

○○○

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦، ٢١٨، ومواضع) ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس بنحوه.

(٢) وجه إيراد الآية ـ والله أعلم ـ أن منكرًا ونكيرًا من جنس الملائكة الغلاظ الشداد التي علىٰ النار، والمؤمن من أهل الجنة، فكما أنه ينجو من الملائكة الغلاظ الشداد في الآخرة= ينجو من تعذيب المَلَكين الغليظين الشديدين في القبر أيضًا. ويؤيد هذا المعنىٰ أنه في بعض روايات حديث البراء الطويل وُصف الكافر عند موته بأنه «**نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد فانتزعوا روحه**». أخرجه أحمد (١٨٦١٤).

وروي عن النبي ﷺ أنه مرَّ بقبرين فقال: «**إنهما يُعذَّبان، ما يُعذَّبان كبيرة، أحدهما أنه كان لا يتوقَّىٰ من البول، والآخر كان يمشي بالنميمة**»(١).

دلَّ ذلك علىٰ أن الكافر والظالم يُعذَّبان في قبورهم علىٰ قدر ذنوبهم، والمؤمن لا يكون لهما عليه سبيل، فهو قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦] (٢).

○○○

## باب في القيامة

والإيمان بالبعث بعد الموت، والحوض، والميزان توزن فيها الحسنات والسيئات، وبالثواب والعقاب، وبالجنة والنار، والقصاص بين الخلق كلِّهم وأهل النار بعضهم من بعض، وبأن الله يتولىٰ حساب كلِّهم، ويُكلِّم من يشاء بغير ترجمان.

والإيمان بالصراط، فإنه يوضع في سواء الجحيم، وهو أدق من الشعر وأحدُّ من السيف[1]؛ صُعودٌ وهُبوطٌ واستواءٌ عليه، عِقَاب كَؤود[2] يؤمر

---

(١) روي هذا الوصف في دقة الصراط مرفوعًا من حديث عائشة عند أحمد (٢٤٧٩٣) بإسناد فيه ابن لهيعة، ومن حديث أنس عند البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦١) بإسناد واهٍ بمرَّة. قال البيهقي: «هذا إسناد ضعيف... وهذا اللفظ من الحديث لم أجده في الروايات الصحيحة».

وقد ورد أيضًا عند مسلم (١٨٣) وابن حبان (٧٣٧٧) عقب حديث أبي سعيد الخدري المرفوع بلاغًا بلفظ: «قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف». ولكن يخالفه لفظ الحديث في «جزء فوائد الليث» (٤) و«الرؤية» للدارقطني (٤) و«الإيمان» لابن منده (٨١٧)، ففيه: «قال **سعيد بن أبي هلال**: بلغني...»، وهو أشبه، وسعيد بن أبي هلال من أتباع التابعين. وروىٰ ابن المبارك في «الزهد – زوائد نعيم» (ص١٢٢) ـ ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٢٣) ـ من طريق آخر عن **سعيد بن أبي هلال** قال: «بلغني أن الصراط يوم القيامة يكون علىٰ بعض الناس أدقَّ من الشعر، وعلىٰ بعض الناس مثل الوادي الواسع».

وانظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص٤٧٢) نشرة هلموت ريتر.

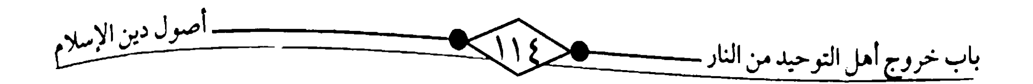
(٢) «عقاب» جمع عَقَبة. والصراط عقبة كؤود علىٰ معنىٰ أنه يشقُّ المرور عليها لأنها «دحض مزلَّة» ولما في حافَّتيها من خطاطيف وكلاليب، كما أخبر به الصادق =

بالخلائق بالجواز عليها، نجا مَن نجا وتردىٰ في النار من تردىٰ؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١- ٧٢]، والجنة من وراء ذلك.

ooo

---

= المصدوق ﷺ. أما أنها عِقابٌ حقيقةً بمعنىٰ أن فيها صعودًا وهبوطًا، كما هو ظاهر عبارة المؤلف، فهذا لم أجد في السنة ما يدل عليه، والله أعلم.



# باب خروج أهل التوحيد من النار

والإيمان بأن الموحِّدين يُخرَجون من النار إذا أُذيقوا العذاب علىٰ قدر أعمالهم ثم يُدخَلون[1] الجنة بشفاعة النبي ﷺ، وهو قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ﴾[2] الآية [آل عمران: ٢٤]. فالمعتزليَّةُ[3] ـ لعنهم الله ـ يرُدُّون علىٰ ذلك ويقولون بخلافه؛ يزعمون أن من أتىٰ بذنب واحد في عمره أو ظلم بحبَّةٍ في دهره فقد كفر ويكون خالدًا مخلَّدًا في النار، لا يُخرَج منها أبدًا، لأنه قد دخل النار بكفره.

وقد اجتمع العلماء من أهل السنة من غير خلاف بينهم أنه لا يُكفَّر أحدٌ من أهل القبلة بذنب صغير ولا كبير ولا يُخرَج عن الإسلام بمعصية صغُرَت أم كبُرَت، ونرجو[4] للمحسن ونخاف[5] للمسيء.

---

(١) «يُخرَجون... يُدخَلون» كذا ضبطهما في الأصل، ويصح البناء للفاعل.

(٢) في الأصل: «قُل لن»، سهو. ولم أتبيَّن وجه الاستشهاد بالآية، إلا علىٰ توهُّم: «قُل» في أوَّلها علىٰ ما جاء في الأصل. أو أن يكون أراد آية البقرة: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾، فإنه يليها قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، والمؤمن ـ وإن كان له ذنوب ـ لا تُحيط به خطيئته، فلا يكون من أصحاب النار الذين لا يخرجون منها.

(٣) كذا في الأصل، وقد سبق مثله.

(٤) في الأصل: «يرجو».

(٥) في الأصل: «يُخاف».

فمن قال بقول المعتزلة وآمن به فقد أعظم الفرية على الله تعالى، وأبرأ[1] الله تعالى ممَّا وصف به نفسه من الرأفة والرحمة والتجاوز والإحسان والغفران وقبول التوبة، ونسب الكفرَ إلى الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه]، وأن إخوة يوسف عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ظلموا أخاهم وعقُّوا أباهم وعصوا مولاهم وهم مع ذلك أخيار أبرار من أهل الجنة. وقال تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]. وقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقد أمرَنا النبيُّ ﷺ بالكفِّ عمَّا شجر بين أصحابه[2]، فقد شهدوا المشاهد وسبقوا الناس بالفضل، وقد غفر اللهُ تعالى لهم، وأمر بالاستغفار لهم والتقرُّبِ إليه بمحبتهم[3]، وفرض ذلك على لسان محمد ﷺ، وهو يعلم ما يكون منهم وأنهم سيقتتلون، وقد فُضِّلوا على سائر الخلق لأن العَمْد

(١) في الأصل: «ابراهُ»، ولعل المثبت أشبه.

(٢) كما هو مقتضى ما روي من قوله ﷺ: «إذا ذُكِر أصحابي فَأَمْسِكُوا». أخرجه عبد الرزاق في «الأمالي» (٥١) عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه مرسلًا. وروي مسندًا من حديث ابن مسعود وثوبان وغيرهما بأسانيد فيها مقال. انظر: «أنيس الساري» (١/ ٣٥٠-٣٥٢).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

والخطأ قد وضعه الله تعالىٰ عنهم، فكل ما شجر بينهم مغفورٌ[١] لهم.

والدليل علىٰ أن الموحدين يخرجون من النار ولا يكونون فيها خالدين: قولُ النبي ﷺ: «**لا يبقىٰ في النار من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من الإيمان**»[٢].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٢٩- ٣٠] ولم يقل: «خالدًا مخلَّدًا».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة: ٦]، فلو استوىٰ المؤمن والكافر لبطلت شفاعة النبي ﷺ وشفاعة المؤمن، ألا ترىٰ إذا قُبلت شفاعة النبي ﷺ يقول الكفار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء]، فدلَّ أن المؤمنين يَنْجُون بالشفاعة ويخرجون من النار، لأن الكفار لا شفيع لهم[٣]، ولا يكون لأحدٍ عليهم شفاعة لقوله تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤١- ٤٨]، فدلَّ أن الشفاعة تنفع المؤمنين، والكفارَ بكفرهم خرجوا

---

(١) في الأصل: «مغفورًا».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٩٨) وعبد الله في «السنة» (٧٧١) من حديث أبي سعيد بلفظ: «يخرج من النار...». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وأصله عند البخاري (٦٥٦٠) ومسلم (١٨٤) بمعناه.

(٣) وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية قال: «يعلمون واللهِ أن الصديق إذا كان صالحًا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع». أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٠).

عن الشفاعة، والمؤمنين يرجون شفاعة الشافعين.

ونرجو إن شاء الله لقول النبي ﷺ: «ما من نبيٍّ إلا كانت له دعوةٌ مستجابة، وإني أخبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي»[١].

وقال عزَّ ذكرُه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فدلَّ أن الشفاعة تنجي لمن ارتضىٰ من المؤمنين والموحدين.

وقال النبي ﷺ: «إن المؤمنين إذا تُنقَم منهم في النار قاموا فيها سبعون عامًا حتىٰ تَلْحَقُهم شفاعتي فيخرجون مثل الحُمَمَة، فيُلقَون في نهرٍ علىٰ باب الجنة يقال له نهر الحَيَوان، فيَنبُتون كما تَنبُتُ الحِبَّة في حَمِيل السَّيلِ بعد ما امتَسَخُوا[٢]، ثمَّ يُكتَب علىٰ [رقابهم][٣] إذا أدخلوا الجنة: هؤلاء الجهنَّميُّون عتقاءُ الرحمن، [ق٢٤] فتبقىٰ الكتابةُ عليهم فيُعيِّرونهم[٤] بها أهلُ الجنة، فإذا طالت عليهم المدَّةُ يسألون ربهم ويقولون: أخرجتَنا من النار وأعتقتَنا منها ومِن عذابها وأدخلتَنا الجنةَ برحمتك، امحُ عنا هذه الكتابة حتىٰ لا يعيِّرونا أو تَرُدَّنا، فيمحُو[٥] عنهم»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤، ٦٣٠٥) ومسلم (١٩٩، ٢٠٠) من حديثَي أبي هريرة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه.

(٢) كذا، والصواب: «امْتَحَشُوا» ـ أي: احترقوا ـ كما في أحاديث الشفاعة كلها.

(٣) زيادة مستدركة من المصادر.

(٤) كذا في الأصل، والذي في مصادر التخريج: «يعرفهم».

(٥) في الأصل: «فيمحُ».

(٦) روي نحو ذلك عن أبي هريرة مرفوعًا ضمن حديث الصور الطويل، أخرجه إسحاق في

وقد قال النبي ﷺ: «**إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي ما لم يكن في دينهم بدعة**»(١)، فلو كان المؤمن خالدًا في النار بجنايته ما لحقت أحدًا الشفاعةُ، فدل أن المؤمن لا يبقىٰ في النار وإن كان من أهل الكبائر.

**فإن قال مخالف**: فقد قال الله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

**فقل**: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] (٢). وإنما تفرَّد به من أصحاب رسول الله

=

«مسنده» (١٠) والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦) وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٦) والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٩٢) بإسناد ضعيف. قال البخاري في «التاريخ» (١/ ٢٦٠) وغيرُه من أئمة الحديث: حديث الصور لا يصح.

وقد صحَّ حديث الجهنَّميين عن عمران بن حصين وأنس بن مالك مختصرًا عند البخاري (٦٥٦٦، ٧٤٥٠) وغيره، وليس فيه أنه يُكتب ذلك في رقابهم ثم يُمحىٰ. وفي الباب حديث أبي سعيد الطويل عند البخاري (٧٤٣٩) في الشفاعة وذكر عتقاء الرحمن الذين يخرجهم الله بفضل رحمته.

(١) أخرجه أحمد (١٣٢٢٢) وأبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وابن حبان (٦٤٦٨) والحاكم (١/ ٦٩) والضياء في «المختارة» (٤/ ٣٨٢، ٥/ ٢١) من حديث أنس بن مالك، وأخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) وابن حبان (٦٤٦٧) والحاكم (١/ ٦٩) من حديث جابر، وليس فيهما: «ما لم يكن في دينهم بدعة».

(٢) لعله يشير إلىٰ ما روي من أنه لمَّا نزلت آية جزاء القاتل قال الصحابة: وجبَتْ لمن فعل هذا النارُ، حتىٰ نزلت هذه الآية فأمسكوا عن الشهادة. أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في «أحكام القرآن» ـ كما في «شرح البخاري» لابن بطال (٨/ ٤٩٢) ـ وابن

ﷺ ابنُ عباس[(١)]، وخالف سائرُ[(٢)] الصحابة منهم علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت[(٣)] رضي الله عنهم أجمعين.

**فإن قال مخالف**: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠][(٤)].

**قيل**: إذا تابوا يبدل الله سيئاتهم حسنات، وإنما خُلِّدوا في النار لأنهم ادَّعَوا

=

المنذر في «تفسيره» (الدر المنثور: ٤/ ٦٠٢) عن إسماعيل بن ثوبان بنحوه. قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٨٨): إسناده حسن.

وروي نحوه عن ابن عمر عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٥٤، ١٠٠٧) والبزار (٥٨٤٠) وأبي يعلىٰ (٥٨١٣) وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٢٩) والطبراني في «الكبير» (١٣٣٣٢) وأبي نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٢٥) بأسانيد بعضها حسن، وليس في أكثرها ذكرُ آية جزاء القاتل، وإنما «أهل الكبائر» عمومًا.

(١) فأوجب النار للقاتل عمدًا، وأنه لا توبة له. انظر: البخاري (٣٨٥٥، ٤٥٩٠) ومسلم (٣٠٢٣) والترمذي (٣٠٢٩) والطبري (٧/ ٣٤٢-٣٤٨).

(٢) لم يضبط في الأصل، والسياق يحتمل النصب.

(٣) قول علي أشار إليه ابن العلاء القشيري المالكي (ت٣٤٤) في «أحكام القرآن» (١/ ٤١٤)، وذكر ابن بطَّال في «شرح البخاري» (٨/ ٤٩٢) أنه روي أن للقاتل توبة عن علي وابن عباس وابن عمر من طرق لا يُحتجُّ بها.

أما زيد بن ثابت، فقوله موافق لقول ابن عباس، انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص٢٦٧، ٢٦٨) والطبري (٧/ ٣٤٩، ٣٥٠) وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧).

(٤) الشاهد فيه قوله تعالىٰ: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

مع الله إلهًا آخر مع أفعالهم، فبكفرهم خُلِّدوا في النار، لا بالقتل والزنا إذا كانوا مؤمنين لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

○○○

# باب في الجنة والنار

والإيمان بأن الجنة والنار حق، وأنهما مخلوقتان باقيتان لا يفنيان ولا يفنىٰ ما فيهما، وكُلُّ ما أوجب الله عليه الفناء يفنىٰ إلا الذي خُلِق للبقاء لا للفناء، وهو سبعة أشياء: العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والصُّور والجنة، والنار[١].

ولا تموت[٢] الحُور العِين كذلك في الجنة، ولا تموت الزبانية في النار[٣]، لأن الله تعالىٰ خلق ذلك للبقاء.

والجنة والنار خلقهما الله تعالىٰ من قبل أن خَلَق الخلق، ثم خلق الخلقَ لهما فقبض قبضةً بيمينه فقال: «**هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي**»، وقبض قبضةً [بيده][٤] الأخرىٰ فقال: «**هؤلاء في النار بعَدْلي ولا أبالي**»[٥].

فمن قال: إن الله تعالىٰ كتب الفناء علىٰ الجنة والنار، فقد خالف السنة

---

(١) هذه السبعة ذكرها البربهاري (ص٧١) وقوام السنة في «الحجة» (٢/ ٤٦٧). وزاد غيرهم: الأرواح، فإنها لا تفنىٰ عند الموت وإنما تُفارق أجسادها. انظر: «الروح» لابن القيم (١/ ٩٧-٩٨) و«النونية» (الأبيات ١١٨-١٤٧).

(٢) في الأصل طمس ولم يظهر إلا التاء والميم.

(٣) زبانية النار هم خزنتها من الملائكة الغلاظ الشداد.

(٤) زيادة لازمة.

(٥) روي نحو ذلك في عدة أحاديث مسندة ومرسلة وموقوفة. انظر: «مسند أحمد» (١٧٥٩٣، ١٧٦٦٠، ٢٢٠٧٧، ٢٧٤٨٨)، و«القدر» للفريابي (٢١-٢٦)، و«الإبانة الكبرىٰ» (١٤٤٢، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٨، ١٤٥١).

وكفر بالآيات والقرآن.

وخلق الله تعالىٰ آدمَ بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وأن الله تعالىٰ اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم موسىٰ تكليمًا، وخَلَق عيسىٰ بن مريم مِن رُوح القُدُس[١]، وبَعَث محمد بن عبد الله ﷺ حبيبًا قريبًا[٢].

والجنة في السماء وسقفها العرش[٣]، والنار تحت الأرضين السابعة[٤] السفلىٰ[٥]، لا يفنيان ولا يفنىٰ ما فيهما.

---

(١) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] علىٰ قول من فسَّره بمعنىٰ: جعلنا فيه نفخةً من جهة روح القدس الذي هو جبريل، ويؤيده قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم]. انظر: «الكشاف» (١٠/ ٣٩٨ – فتوح الغيب) و«فتاوىٰ شيخ الإسلام» (١٧/ ٢٦٣).

(٢) لعله يشير إلىٰ حديث: «إن إبراهيم خليل الله... ألا وأنا حبيب الله ولا فخر». أخرجه الدارمي (٤٨) والترمذي (٣٦١٦) وغيرهما عن ابن عباس بإسناد ضعيف. قال الترمذي: «هذا حديث غريب». ومما يدلُّ علىٰ نكارته أن الخلَّة أرفع من المحبَّة وقد قال ﷺ: «إن الله تعالىٰ قد اتَّخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا». رواه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب، وبنحوه (٢٣٨٣) من حديث ابن مسعود.

(٣) كما يدل عليه حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا سألتم اللهَ فسلوه الفردوسَ، فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرشُ الرحمن». رواه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣).

(٤) «الأرضين السابعة» كذا في الأصل.

(٥) قارن بالبربهاري (ص٤٨)، فكأن المؤلف صادر عنه. وكون النار تحت الأرض السابعة ورد فيه آثار لا تخلو أسانيدها من مقال. انظر: «التخويف من النار» لابن رجب (الباب الخامس في ذكر مكان جهنَّم).

والدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان، قوله تعالى لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فدلَّ ذلك على أنهما مخلوقتان لأن الله تعالى قال: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

**فإن قال مخالف:** كانت في الدنيا وأراد به بستانًا فيها.

**فقُلْ له:** قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه: ١٢٣] والهبوط لا يكون إلا من السماء إلى الأرض، ألا ترى ما قال النبي ﷺ: «هبط عليَّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[1] أي: نزل من السماء إلى الأرض. فقال: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ فعرَّفها بالألف واللام، ولو كانت جنةً ما ذكره بالألف واللام للتعريف.

وقيل: إنه أراد به الجنة المأوى، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحديد: ٢١] ولم يقل: أُعِدُّها[2] للذين آمنوا، فدلَّت هذه الآية على أنها قد كان خلقها من قبلُ.

---

(١) ورد هذا في عدة أحاديث واهية وموضوعة. انظر: «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٩٩؛ ٢٦/ ٣٥٣؛ ٣٠/ ٦١، ٧٣؛ ٥٣/ ٣٢٥، ٣٢٦؛ ٥٩/ ٧١) و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ١٠، ٢٢، ٥٤، ٢٥٠، ٢٧٨).

(٢) في الأصل: «أعددتها»، وظاهر أنه تصحيف، فالمثبت مقتضى السياق، وبه يتم استدلال المؤلف.

وقد قال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر]، فدلَّت هذه الآية علىٰ خلقها لأنه لا يجوز أن يكون في جنةٍ غير مخلوقة.

ooo

## باب في المعراج

والإيمان بأن الله تعالىٰ عرج برسوله محمد ﷺ إلىٰ السماء، وهو قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ الآية، فعُرِج بروحه وبدنه في ليلة واحدة في اليقظة لا في المنام، ورجع إلىٰ مكة في تلك الليلة التي أسرىٰ فيها به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسار به إلىٰ العرش، ورأىٰ ربَّه عَزَّوَجَلَّ بعيني قلبه وعيني رأسه جميعًا، والإيمان برؤية عيني القلب والرأس، وصلىٰ ﷺ في السماء الرابعة عند البيت المعمور بالأنبياء والملائكة ركعتين، ودخل الجنة فرأىٰ ما فيها، واطلع في النار فرأىٰ ما فيها، وفُرِض عليه وعلىٰ أمته صلاة الخمس، ورجع إلىٰ المكة في تلك الليلة وذلك قبل الفجر.

وسئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢] قال: لما رجع رسول الله ﷺ من المعراج قال: «**رأيت ربي في أحسن صورةٍ بعيني رأسي وقلبي**»، فشكُّوا المنافقين[(١)]، وقالوا: إن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ربه وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلم يجبه إلىٰ ذلك، فكيف رآه هذا؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[(٢)]؛

---

(١) كذا في الأصل، ولعله أراد: فشكَّك المشركون المنافقين.

(٢) لم أجد من ذكره عن ابن عباس، والنكارة فيه ظاهرة فلم يكن بمكة منافقون، ثم هو مخالف لما صحَّ عن ابن عباس عند مسلم (١٧٦) أنه قال: «رآه بقلبه»، وفي رواية: «رآه بفؤاده مرتين». وأيضًا فقد صحَّ عنه ﷺ أنه لمَّا سئل: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنَّىٰ أراه؟!». رواه مسلم (١٧٨). وانظر: «مختصر الفتاوىٰ المصرية» لشيخ الإسلام (ص٥٧٣). =

أيها الجاحدون أتُمارون علىٰ ما يرىٰ حبيبي بعيني رأسه وقلبه جميعًا؟!

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الخلة كانت لإبراهيم، والتكلم لموسىٰ، والنظر لمحمد صلىٰ الله عليهم أجمعين[1].

ولقد رآه واللهِ بعيني رأسه علىٰ بِساط البقاء بنور البقاء إلىٰ الملك الباقي.

وروت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقالت: رآه رآه، فقيل: يا أم المؤمنين كيف رآه؟ فقالت: رآه بعيني رأسه كِفاحًا[2].

**فإن أنكر المخالف ويقول:** رآه بعينَي قلبِه ويحتج بقول الله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].

**فقل:** هذا ما سئل [ق٢٥] عنه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: لمَّا بلغ إلىٰ الحُجُب رآه بعيني قلبه خارجًا، فلما أن بلغ الحجاب رآه بعيني قلبه خارجًا، فلما رَفَع الحجبَ رآه بعيني رأسه ودنا لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨

=

وأما قوله ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة»، فرؤيا منام كما في حديث معاذ الذي سبق تخريجه (ص٤). وانظر: «تفسير ابن كثير» (النجم: ١٢).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٧٥) وعبد الله في «السنة» (٥٦١-٥٦٣) والطبري (٢٢/ ٢٤) (١/ ١٧١) والحاكم (١/ ٦٥) والضياء في «المختارة» (١٢/ ٢٠٨، ٢٨٧) وغيرهم من طرق عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) لم أجده، وهو يخالف ما صحَّ عنها أنه قالت: «من زعم أن محمدًا رأىٰ ربَّه فقد أعظم، ولكن قد رأىٰ جبريل في صورته وخَلْقُه سادٌّ ما بين الأفق». رواه البخاري (٣٢٣٤) ومسلم (١٧٧).

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم] يعني بل[1] أدنىٰ[2].

والدليل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]. قال ابن عباس في تفسيره: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] يعني: ما كذب قلبه بما رأىٰ صدره، وما كذب صدره بما رأىٰ فؤاده، وما كذب فؤاده بما رأىٰ بصره، هن موافقات بعضُهن لبعضٍ[3].

والإيمان بجميع ذلك واجب.

وكذلك الإيمان بالله تعالىٰ أطلع نبيَّه علىٰ جميع الأمور التي تكون في أمته إلىٰ أن تقوم الساعة لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاصة [التوبة: ١٠٥][4].

والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ

---

(١) في الأصل: «بلىٰ»، تصحيف.

(٢) لم أجده، وفي الباب عن جابر عند أبي يعلىٰ في «إبطال التأويلات» (٩٥) بإسناد واهٍ، فيه يوسف بن أحمد بن حرب الأشعري، يتفرَّد بما لا يُتابَع عليه. قال شيخ الإسلام: هذا الحديث كذب موضوع علىٰ رسول الله ﷺ بلا نزاع بين أهل العلم بالحديث. «بيان تليس الجهمية» (٧/ ٢٦٩).

(٣) لم أجده. والذي صحَّ عن ابن عباس في تفسير الآية: أنه رآه بفؤاده. رواه مسلم (١٧٦) من رواية عطاء وأبي العالية عنه، والترمذيُّ (٣٢٨١) من رواية عكرمة عنه، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢١٩) من رواية يوسف بن مهران عنه.

(٤) لم أجد من فسَّر المؤمنين بأبي بكر خاصَّة، وهو خلاف ظاهر الآية.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ الآية، يعني به بيت المقدس، ثم عرج به سماءً سماءً حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ سدرة المنتهىٰ عندها جنة المأوىٰ، فقال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] يعني من النور الذي حفَّه الله بها. قال رسول الله ﷺ: «**وعرج بي جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في النور، فما زلتُ أمُرُّ إلىٰ أن قربت من ربي كـ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾** ـ رآه بعيني قلبه ورأسه جميعًا ورأىٰ الآيات بعينيه، فقال النبي ﷺ ـ **فوضع يدَه بين كتفيَّ فوجدتُ بردها بين ثَنْدُوَتَيَّ، فبيَّن لي كلَّ شيء خلقه. فقال لي: يا محمد، فيمَ يختصم الملأ الأعلىٰ؟ فقلت: في الدرجات والكفارات، فقال: ما الدرجات؟ فقلت: إطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام، وصلةُ الأرحام، والصلاةُ بالليل والناس نيام. فقال: وما الكفارات؟ فقلت: إسباغُ الوضوء في السَّبَرات[(١)]، وكثرةُ المشي إلىٰ الجماعات، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة**»[(٢)].

قال ﷺ: «**فألهمني ربي أن قلت: التحيات الصلوات التطيبات، فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فألهمني ربي أن قلت: السلام**

---

(١) السَّبْرة: الغداة الباردة. وفي بعض روايات الحديث: «في المكروهات».

(٢) الحديث من قوله: «فوضع يده... إلىٰ هنا» روي بنحوه ضمن رؤيا منام لرسول الله ﷺ، من حديث معاذ عند الترمذي وغيره، وقد سبق تخريجه (ص ٤).
وروي بنحوه أيضًا من حديث ابن عباس عند أحمد (٣٤٨٤) والترمذي (٣٢٣٤) وفي إسناده انقطاع، ومن حديث أبي أمامة عند الروياني (١٢٤١) والطبراني (٨/ ٣٤٩) والدارقطني في «الرؤية» (٢٤٨) وغيرهم بإسناد ضعيف.

علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»[(١)].

قال: «ففرض عليَّ وعلىٰ أمتي خمسين صلاةً، فرجعتُ إلىٰ السماء الرابعة فقال لي موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بماذا أمرك ربك؟ فقلت له: فرض عليَّ وعلىٰ أمتي خمسين صلاةً في كل يوم وليلة، فقال: ارجع إليه فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فرجعتُ إلىٰ ربي فقلت: يا ربِّ، إن أمتي لا يطيقون ذلك، فحطَّ عني، فرجعتُ إلىٰ موسىٰ فأخبرته بذلك، فقال موسىٰ: ارجع إليه فإن أمَّتك لا يطيقون ذلك، فما زلتُ أتردَّد بين ربي وبين موسىٰ ويحطُّ عني في كل مرَّة خمسةً خمسةً حتىٰ ردَّها إلىٰ خمسِ صلواتٍ، فقال موسىٰ: ارجع إليه، فقلت: قد استحييتُ من كثرة تردُّدي إليه، فقال الله تعالىٰ: يا محمد، لك بالخمس خمسون»[(٢)].

قال الله عزَّ ذكرُه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، فأخبر تعالىٰ ذكرُه أنه رأىٰ ربَّه بعيني قلبه وعيني رأسه ورأىٰ الآيات بعينيه، فقيل له: لا تخبر به قومك فإنهم مشركون، فنَكِر بذلك، فانتشر الخبر، فجاء أبو جهل

---

(١) هذا القدر لم يرد في أحاديث الإسراء المسندة، وإنما يذكره بعض المفسرين، ولاسيما المتصوفة منهم. انظر: «تفسير السمرقندي» (البقرة: ٢٨٦) و«لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٤٢٨، ٣/ ٦٧) و«روح البيان» لإسماعيل حقي (٣/ ٣٨، ٥/ ١٢١ أتمّ، ٦/ ٤٠٣، ٧/ ٤٦٨).

(٢) صحَّ بنحوه في حديث الإسراء الطويل عند البخاري (٣٤٩، ٣٢٠٧) ومسلم (١٦٣، ١٦٤) عن أبي ذر ومالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الماء في التِّيه والفيء دائمًا في التيه.

وأن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خافت أمُّه من النمروذ، وأبوه كان يلزمه[١] وحاشيته، فخشيت أمُّه إن يَسلَمْ[٢] من النمروذ فيذبحه أبوه، وأن النمروذ كان يذبح الأطفال في تلك السنة بسببه، فأخذته أمُّه وحملته إلىٰ غارٍ في الجبل ورضعته فيه، وقالت: لأن تأكله السِّباعُ أحبُّ إليَّ من أن أراه بين يديَّ، فكان إبراهيم ﷺ يزيد في الغار في كل يوم كما يزيد غيره في شهر، ويزيد في الشهر كما يزيد غيره في سنة، فرجعت إليه أمُّه بعد سبعة أيامٍ فوجدت الغار ممتلئ[٣] نورًا وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جالس بين السندس والإستبرق وهو يمَصُّ إبهاميه فيصيب من الواحدة لبنًا ومن الأخرىٰ عسلًا، فرجعت فَرِحةً مستبشرةً إلىٰ بيتها وكانت تتردد إليه مرارًا ولم تخبر بذلك أباه، فلما أمنت به شرًّا أبدَتْ خبره، فجاء فنظر إليه فقال لها: الآن قد خُنتِ إلٰهك، فانطلق مسرعًا فأفشىٰ خبره إلىٰ نمروذَ، فانتهىٰ هو مع جنوده وعسكره راكبًا إليه، وجرىٰ من حديثه ما جرىٰ فكفاه الله شرَّه، فلما جنَّ علىٰ إبراهيم الليلُ نظر إلىٰ الكواكب بالمغرب وهو المشتري وهو أضوأ من الكواكب كلها، فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ فليس أحسن منه، فلما غاب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، فلما طلع القمر قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ وسجد له، فلما

---

= انفجار الماء في التيه والظل فلم يكن آيةً لفرعون وقومه، وقد قال تعالىٰ: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ [النمل: ١٣].

(١) الكلمة غير محررة في الأصل، وهذه صورتها: «[illegible]».

(٢) ضبط في الأصل بضم الياء.

(٣) كذا في الأصل.

غاب قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، فلما رأى الشمس بازغة قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ وسجد لها، فلما غابت قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ الآية [الأنعام: ٧٦-٧٩][1]، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

فمن أنكر آياتِ محمدٍ ﷺ فينبغي أن ينكر هذه الآياتِ كلَّها.

ooo

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٥٦-٣٥٨) و«السمرقندي» (١/ ٤٦١) و«الكشف والبيان» (١٢/ ١٢٦-١٢٩).

## باب الأفعال

والإيمان بأن الفعل على ثلاثة أوجه: الفرائض والفضائل والمعاصي.

**أما الفرائض** فبمشيَّة الله تعالى وأمره[١]، وبقضائه ورضائه، وبتقديره وتخصيصه[٢] وعلمه، وحُبِّه واختياره.

**وأما الفضائل** فبمشيَّة الله وقضائه ورضائه، وبتقديره وتخصيصه، وحُبِّه واختياره.

**وأما المعاصي** فبمشيَّة الله، لا بأمره ولا برضائه، ولا بحُبِّه ولا بتخصيصه.

وقال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الله يكره الطاعة من العاصي كما يكره المعصية من المطيع، وقرأ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] يعني: طاعتهم، والله يكرهه[٣].

---

(١) أي: أمره الشرعي المقتضي للوجوب، ولذا لم يذكره في الفضائل، ونفاه في المعاصي، مع إثباته أنها بمشيئة الله.

(٢) أي: باصطفائه وتوفيقه، ولذا نفاه عن المعاصي مع إثباته أنها بمشيئة الله.

(٣) ذكره أبو الفضل التميمي (ت٤١٠) في «اعتقاد الإمام أحمد» (ص٥٩)، وقال: حكاه ابن أبي داود. وفي إطلاق «أن الله يكره الطاعة من العاصي» = نظر، فإن الله يقول: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وأما كراهة انبعاثهم فلما ذكره الله تعالى في الآية التالية: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

**والخلق على ثلاثة أصناف:** المخلصين والمنافقين والكافرين.

وأن الله تعالىٰ يفرق بين الكافر والمؤمن، ويفرق بين الكفر والإيمان، فأوجب موضع الكفر الإيمانَ وأوجب موضع النفاق الإخلاصَ، وأوجب موضع الذنب التوبةَ.

والتوبة فريضة علىٰ المؤمنين والمُختصِّين لقوله تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وفرض الله تعالىٰ الإخلاصَ والإيمانَ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفرض الإيمانَ علىٰ الكفار أن يؤمنوا بالله ورسوله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ الآية [الحديد: ٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠].

۞۞۞

والإيمان بأن رسول الله ﷺ كلَّم أهل القليب يوم بدرٍ وكانوا[١] مقتولين، فناداهم: «**يا أبا جهلٍ، ويا مغيرةُ**[٢]» وسمَّاهم بأسمائهم فأجابوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟**» يعني من العذاب، قالوا:

---

(١) في الأصل: «فكانوا».

(٢) كذا، وليس في قتلىٰ بدرٍ أحد اسمه «مغيرة».

بلىٰ. فقال لهم: «**كيف ترون أمَّتي في الجِنان؟**»، فقالوا: قد أطلعنا اللهُ عليهم وعلىٰ منازلهم في الجنة وهم فرحون مستبشرون بما آتاهم الله من فضله، وأنت علىٰ الحق ولم نؤمن بك لشقائنا وخِذلاننا. وسمع الصحابة النداء من رسول الله ﷺ والجواب من أولئك، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فداك أبي وأمي، أليس هم موتىٰ؟ قال: «**نعم، فإن الله تعالىٰ أذن لهم حتىٰ نطقوا بالجواب لي**»[1].

۞۞۞

والإيمان بأن القرآن أحوج إلىٰ السنة من السنة إلىٰ القرآن[2].

**فإن قال مخالف:** كيف ذلك؟

**فقل:** إن الله تعالىٰ أنزل القرآن وذكر فيه الحلال والحرام، والفرض والسنة، والأمر والنهي، والناسخ والمنسوخ، والتأويل والتنزيل، والخاص والعام، والمحكم والمتشابه، فلم يهتدِ أحدٌ[3] إلىٰ ذلك، فجاء النبي ﷺ

---

(١) منكر بهذا السياق، لم يُروَ في شيء من الروايات أنهم أجابوا وأن النبي ﷺ سألهم عن حال أمته. والصحيح من ذلك ما رواه أحمد (١٢٠٢٠) ومسلم (٢٨٧٤) من حديث أنس قال: سمع المسلمون النبي ﷺ وهو ينادي علىٰ قليب بدر: «يا أبا جهل بنَ هشام، يا عتبةُ بنَ ربيعة، يا شيبةُ بنَ ربيعة، يا أميَّةُ بنَ خلف، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا» . قالوا: يا رسول الله، تنادي قومًا قد جيَّفوا. قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا».

(٢) قاله مكحول، أسنده عن الأوزاعي عنه سعيدُ بن منصور (٢٥٦٧ - تفسير) وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٩٥) والبيهقي في «المدخل إلىٰ السنن» (١٠٤٣). وقاله أيضًا البربهاريُّ في «شرح السنة» (ص ٨٠).

(٣) في الأصل: «يهتدي أحدًا».

نفسّره واحدًا واحدًا حتىٰ عرف الناسُ وفهموها، فمنها يُتبع القرآن.

والسنة قاضية علىٰ القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فقَسَم وبيَّن وشرح لهم.

فإن قيل: كيف ذلك؟

فقل: إن الله تعالىٰ أراد أن يكرم محمدًا ﷺ والعلماءَ من بعده، فلو كان آيات القرآن محكماتٍ كلَّها لم يحتَجْ أحدٌ[1] إلىٰ النبي ﷺ ولا إلىٰ أحد من العلماء بعده؛ فمِن ذلك: جَعْلُ بعضِه خاصًّا وبعضه عامًّا، وبعضه ناسخًا وبعضه منسوخًا، ونحو هذا.

۞۞۞

والانقياد واجب للأمراء والسلاطين والطاعةُ لهم، وهو من أصول الدين والسنة، وأن لا يخرجَ عليهم بالسيف وإن جاروا، وأن يُسمعَ ويطيعَ لهم ولو كان عبدًا حبشيًّا[2].

ومتابعة السلطان في سبعة أشياء: ضرب الدراهم [ق٢٧] والدنانير إليهم، والكيل والوزن إليهم، والأحكام إليهم، والجمعة والعيدين إليهم، والحج، والجهاد.

---

(١) في الأصل: «أحدًا».

(٢) ورد الأمر بطاعة الأمير ولو كان «عبدًا حبشيًّا» في أحاديث عدة، منها: حديث أنس عند البخاري (٧١٤٢)، وحديث أبي ذر عند مسلم (١٨٣٧)، وحديث العرباض بن سارية عند أحمد (١٧١٤٢) وأبي داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم.

فإن دُعينا إلىٰ ذلك وإلىٰ ما يوافق السنة والكتاب أجبناهم. وإن دُعينا إلىٰ غير ذلك طلبنا إليهم الاستعفاء[1]، فإن تُركنا وإلَّا نقف عنهم ولا نلعنهم.

وصلاةُ الجمعة والعيدين خلف كل إمام جائزةٌ برًّا كان أو فاجرًا[2]، ويختار لنفسه في سائر الصلوات لمن يثق بدينه[3].

والحج والجهاد ماضٍ معهم تامٌّ[4]، لا يُبطله جور جائرٍ منهم. ودفع الخراج والصدقات والغنائم والفيء إليهم جاروا في ذلك أم عدلوا.

والانقياد واجب لوُلاتهم، لا يُنزَع يدٌ عن طاعتهم، ولا يُخرَج عليهم بالسيف ما أقاموا الصلاة، ولا يُطاعون في معصية الله تعالىٰ بل يُصبَر عليهم وإن جاروا، ولا يُمنعون حقوقهم ولا يُنكث بَيعتُهم[5].

---

(١) الاستعفاء: أن تطلب إلىٰ من يُكَلِّفك أمرًا أن يُعفيك منه، أي يصرفه عنك. «العين» (٢/ ٢٥٨).

(٢) في الأصل: «فاجر».

(٣) قيل لسفيان الثوري لمَّا ذكر الصلاةَ خلف كل برٍّ وفاجر: الصلاة كلُّها؟ قال: «لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صلِّ خلف من أدركت. وأما سائر ذلك فأنت مخيَّر، لا تصلِّ إلا خلف من تثقُ به وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة». أسنده هبة الله الطبري في «شرح السنة» (٣١٤).

(٤) كذا في الأصل، وفي «السنة» لحرب الكرماني (ص٤٠): «قائم». وقارن هذه الفقرة واللاحقةَ بكتاب حرب، فكأن المؤلف صادر عنه.

(٥) في الأصل: «ببغيتهم»، وكتب فوقه: «بعدهم»، كلاهما تصحيف.

هذا، والأحاديث الدالة علىٰ ذلك كثيرة، منها عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشرار =

ومن كان من أئمتهم مبتدعًا داعيًا إلىٰ بدعةٍ تُصلَّىٰ خلفه الجمعة ثم تُعَاد ظُهرًا بعد ذلك، وكذلك العيدين[1].

ولا يجوز لأحدٍ أن يبيت[2] [ليلةً ولا يرىٰ أن] عليه إمامًا، كان بارًّا أم فاجرًا[3].

ومن السنة الصبر علىٰ الأُمَراء وإن جاروا[4].

۞۞۞

والجماعة: ما اجتمع عليه أصحابُ رسول الله ﷺ ومَن بعدهم من أهل

---

= أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئًا تكرهونه فاكرَهوا عملَه، ولا تنزِعوا يدًا من طاعة». رواه مسلم (١٨٥٥).

(١) هذا إذا كانت البدعة مكفِّرةً كبدعة الجهمية، ولذا كان الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف لا يرون الصلاة خلف الجهمية، إلا الجمعة ونحوها مما لا يُقيمها إلا الإمام أو نائبه، قال أحمد: «لا تَدَع إتيانَها (أي الجمعة) فإن صلَّىٰ رجلٌ أعاد الصلاة». وسئل عن الجمعة أيام كان يصلي الجُمَع الجهميةُ قال: «أنا أعيد، ومتىٰ ما صليتَ خلف أحد ممن يقول القرآن مخلوق فأَعِدْ». قيل له: وبِعَرَفَة؟ قال: «نعم». انظر: «السنة» لابنه (٤) و«مسائله» لأبي داود (٣٠٤، ٣٠٥).

(٢) في الأصل: «يثبت»، تصحيف. وما بين الحاصرتين مستدرك من «شرح السنة» للبربهاري (ص٥٦).

(٣) في الأصل: «فاجر».

(٤) لقوله ﷺ: «من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شِبرًا مات مِيتةً جاهلية». أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس.

ومن كان من أئمتهم مبتدعًا داعيًا إلىٰ بدعةٍ تُصلَّىٰ خلفه الجمعة ثـم تُعَاد ظُهرًا بعد ذلك، وكذلك العيدين[١].

ولا يجوز لأحدٍ أن يبيت[٢] [ليلةً ولا يرىٰ أن] عليه إمامًا، كـان بـارًّا أم فاجرًا[٣].

ومن السنة الصبر علىٰ الأُمَراء وإن جاروا[٤].

۞۞۞

والجماعة: ما اجتمع عليه أصحابُ رسول الله ﷺ ومَن بعدهم من أهل

---

أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قـال: «لا، مـا أقـاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم مـن وُلاتكـم شيئًا تكرهونه فاكْرَهوا عملَه، ولا تنزِعوا يدًا من طاعة». رواه مسلم (١٨٥٥).

(١) هذا إذا كانت البدعة مكفِّرةً كبدعة الجهمية، ولذا كـان الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف لا يرون الصلاة خلف الجهمية، إلا الجمعة ونحوها مما لا يُقيمها إلا الإمام أو نائبه، قال أحمد: «لا نَدَع إتيانَها (أي الجمعة) فإن صلَّىٰ رجلٌ أعاد الصلاةَ». وسئل عن الجمعة أيام كان يصلي الجُمَع الجهميةُ قـال: «أنـا أعيد، ومتىٰ مـا صليتَ خلف أحد ممن يقول القرآن مخلوق فأَعِدْ». قيل لـه: وبِعَرَفَة؟ قـال: «نعم». انظر: «السنة» لابنه (٤) و«مسائله» لأبي داود (٣٠٤، ٣٠٥).

(٢) في الأصـل: «يثبـت»، تصـحيف. ومـا بـين الحاصـرتين مستدرك مـن «شـرح السـنة» للبربهاري (ص٥٦).

(٣) في الأصل: «فاجر».

(٤) لقوله ﷺ: «من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شِبرًا مات مِيتةً جاهلية». أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس.

الأعصار. والسواد الأعظم: الحقُّ وأهله.

۞۞۞

والمكاسب والتجارات مُطلقةٌ[١] إذ بان صحتها علىٰ شرط الكتاب والسنة، فإذا ظهر فسادها أخذ البُلغَة مِن أطيبها وترك سائرها.

والحلال ما تيَّقنه والحرام ما تيَّقنه، والشبهة ما حاك في صدرك.

۞۞۞

ومن طلَّق امرأته [ثلاثًا] [٢] فلا تحلُّ له حتىٰ تنكح زوجًا غيره[٣].

۞۞۞

والإيمان بأن لله أمرًا بغير إرادة، وإرادةً بغير أمر. والدليل علىٰ ذلك أن الله تبارك وتعالىٰ أمر إبليس اللعين أن يسجد لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يُرِد[٤] منه السجود، وأمر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن لا يأكل من الشجرة وأراد أن يأكل منها فأكل

---

(١) أي: مباحة. والمؤلف صادر عن البربهاري (ص١٠٧).

(٢) زيادة لازمة.

(٣) هذه المسألة الفقهية ذكرها بعض أئمة السنة في الاعتقاد مخالفةً للشيعة الذين يرون أن الطلاق الثلاث المجتمعات لا تقع أصلًا أو أنها تقع واحدةً، وإن كان الثاني له مَن قال به قلَّة من أهل السنة. وممن ذكرها: الإمام أحمد في رسالته إلىٰ مسدَّد، والبربهاري، وابن شاهين. انظر: «الجامع في عقائد أهل السنة» (ص٣٧٠، ٨٥٢، ٨٩٩)، و«حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء» للقفال الشاشي (٧/ ٢٢، ٢٣).

(٤) في الأصل: «يريد».

لأن إرادته تسبِق أمرَه.

۞۞۞

والدعاء للأئمة والسلاطين بالصلاح من أهل السنة[١].

والإمساك والكف عن الخوض في الفتنة واجب، فإن ابتُلي بها أحدٌ قدَّم مالَه دون نفسه، ثم نفسَه دون دينه، وكفَّ يده ولسانه وهواه[٢].

وما كان من قتالٍ بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة[٣].

۞۞۞

والإيمان بأن الله تعالىٰ عالم بعدد أهل الجنة ومن يدخلها، وبعدد أهل النار ومن يدخلها، وهو عالم بما كان وبما يكون وما لم يكن[٤]، علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالآخر كعلمه بالأول، لا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، أحاط علمُه بالدنيا والآخرة.

---

(١) كذا السياق في الأصل، والظاهر أن فيه سقطًا. وعبارة البربهاري (ص١١٣): «وإذا سمعتَ الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله».

(٢) قارن بالحرب الكرماني (ص٤٠). وقد قال جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيةٍ له: «وإن عرض بلاء فقدِّم مالَك دون نفسك، فإن تجاوز البلاءُ فقدِّم مالَك ونفسَك دون دينك، فإن المَحْروبَ من حُرب دينَه، وإن المَسلوب من سُلب دينَه». أخرجه مسدد (المطالب: ٣١٣٤) وأحمد في «الزهد» (١١٣٤) والبيهقي في «الشعب» (١٨٧٣). قال الحافظ: صحيح موقوف.

(٣) قاله البربهاري (ص١٠٤).

(٤) في الأصل: «يكون».

وسئل الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن عبد الله الابشيوي رحمه الله[١] عن قول الشيخ أبي عبد الله ابن بابيك رحمه الله[٢] في «كتاب المتصرف»: إن الله يرىٰ الأشياء موجودًا ويعلمها معدومًا؟

فأجابه وقال: إني أنا أيضًا علىٰ هذه الحالة، أني أرىٰ الأشياء موجودًا وأعلمها مفقودًا، وهو صفة المخلوقين، وأن الله تعالىٰ لم يزل سميعًا بصيرًا، عالمًا قادرًا، عليمًا حكيمًا، مريدًا متكلمًا، وأنه تعالىٰ بصفاته لم يزل كاملًا، فإن رأىٰ الأشياء عند وجودها لم يتأكد بصفات كاملة! وهذا هو المعنىٰ الذي يؤدي إلىٰ أنه زاد في كتابه «كمالًا»، وهذا لا يجوز، وهو صفة المخلوقين، فإن الزيادة والنقصان لا يلحق صفاتِه تبارك وتعالىٰ، بل لم يزل صفاته علىٰ غاية الكمال في الأحوال وعدمها، يراها في معدومها كما يراها في موجودها[٣].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**رأيتُ ليلةَ المعراج الجنةَ وأهلَها في النعيم،**

---

(١) لم أهتدِ إليه.

(٢) كذا إعجامه في الأصل، ولعل المراد: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن بابنك ـ أو بانيك ـ الصوفي. له ذكر في «ذم الكلام» للهروي (٩٤٧ – الهامش)، و«الأنساب المتفقة في الخط» لابن القيسراني (ص١٩)، و«الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٠٥)، و«تاريخ دمشق» (١٤/ ٣٢٥) (٧٣/ ٢٥)، والظاهر أنه عاش في نهاية القرن الرابع.

(٣) هذا الكلام فيه نظر، فإن المعروف أن الرؤية تكون للموجود، ولا تتعلَّق بالمعدوم، ولذا يؤوِّلُ مَن يؤوِّل من السلف والخلف نحوَ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بأن المعنىٰ: «لِنَرىٰ»، لأن الله قد علمه قبل وقوعه، ولكنَّه لمَّا يَرَه. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٤٥)، و«الكشف والبيان» (٤/ ١٧٩)، و«البسيط» (٣/ ٣٧٩)، و«ابن كثير» (العنكبوت: ٣).

ورأيتُ النارَ وأهلَها في العذاب»(١). وهذا الخبر صحيح، ولم يدخل الجنة والنار واحد(٢).

وإنما سُمِّي جعفر الطيار لأن النبي ﷺ قال: «رأيتُ جعفر في الجنة بطير»(٣).

ooo

(١) لم أجده بهذا السياق، وفي الباب عدة أحاديث، منها حديث أسامة بن زيد: «قمتُ علىٰ باب الجنة، فإذا عامَّةُ مَن دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجَدِّ محبوسون، إلا أصحابَ النار فقد أُمر بهم إلىٰ النار، وقمتُ علىٰ باب النار، فإذا عامَّة من دخلها النساء». رواه البخاري (٥١٩٦) ومسلم (٢٧٣٦).

وجه استدلال المؤلف بمثل هذه الأخبار: أن الله أرىٰ نبيَّه أهل الجنة في الجنة ولمَّا يدخلوها، وكذلك أهل النار، فإذا كان الله أرىٰ النبيَّ ﷺ المعدوم قبل وقوعه، فكون الله تعالىٰ يرىٰ الأشياء قبل وقوعها من باب الأولىٰ. وقد يجاب بأن الله أراه أمثالَهم وصورَهم، والله أعلم.

(٢) في الأصل: «واحدا».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٦٣) وأبو يعلىٰ (٦٤٦٤) وابن حبان (٧٠٤٧) والحاكم (٣/ ٢٠٩) من حديث أبي هريرة بنحوه، وإسناده ضعيف كما ذكره الترمذي عقب الحديث والذهبيُّ في «تلخيص المستدرك». ولكن له أصل، فقد أخرج البخاري (٣٧٠٩) وغيره عن ابن عمر أنه كان إذا سلَّم علىٰ ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابنَ ذي الجناحين».

هذا، ورؤية النبي ﷺ جعفرًا في الجنة ليست رؤية لما لم يقع بعد، بل هو شيء قد حصل، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت.

## باب في اللوح المحفوظ

والإيمان باللوح المحفوظ أنه حقٌّ يُستنسَخ منه أعمال العباد كما سبق فيه من كلام الله سبحانه وقضائه وقدره، لقوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٨]، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣] يعني مكتوب في اللوح المحفوظ.

وأن الله تعالىٰ ينظر فيه كل ثلاث ساعات[١] ليخلق ما يشاء ويرزق من يشاء، ويحيي من يشاء ويميت من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويغني من يشاء ويفقر من يشاء.

والإيمان بأن الخلائق كلَّهم من الجن والإنس، والبهائم والهوام، والوحوش والطيور، وكلَّ دابةٍ في البر والبحر= لا يصنعون شيئًا إلا بمشيَّة الله تعالىٰ وعلمه وقدرته، وقَسَم أرزاقهم بحكمته وإرادته، وفرغ تعالىٰ من الخَلْق والخُلُق[٢] والرزق والأَجَل.

۞۞۞

---

(١) كذا، والذي في حديث ابن عباس موقوفًا: «ينظر فيه كلَّ يومٍ ثلاثمائة وستين نظرةً، ففي كل نظرةٍ منها يخلق ويرزق...» إلخ بنحوه. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٨) والطبري (٢٢/ ٢١٥) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٠) (١٢/ ٧٢) والحاكم (٢/ ٤٧٤) والضياء في «المختارة» (١٠/ ٧١) من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا عليه، إلا عند الطبراني في الموضع الثاني فمرفوع بإسناد ضعيف.

(٢) لعله نظر في هذا إلىٰ حديث ابن مسعود: «إن الله تعالىٰ قَسَم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم». أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٥) موقوفًا عليه، وقد روي مرفوعًا ولا يصحّ. انظر: «العلل» للدارقطني (٨٧٢).

والإيمان بأن الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر واجبٌ باليد واللسان والقلب، والثلاثة تلزم السلطان، والاثنتان[1] تلزم العالم، والواحدة[2] تلزم جميع الناس، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

❁❁❁

ولا نبيح[3] قتلَ أحدٍ من المسلمين وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا بإحدىٰ ستة:

(١) زنًا بعد إحصان.

(٢) وكفرًا من[4] بعد إيمان.

(٣) أو قتل نفسٍ مؤمنةٍ فيُقتَل عوضَه.

(٤) أو مَن ردَّ علىٰ شيءٍ من القرآن.

(٥) أو من ردَّ شيئًا[5] من سنة رسول الله ﷺ. [ق٢٨]

(٦) أو خارجيٌّ خرج علىٰ الإسلام بالسيف، فإنه يحلُّ قتلُ الخوارج إذا

---

(١) أي: باللسان والقلب.

(٢) أي: بالقلب فقط.

(٣) في الأصل: «يبيح».

(٤) غير محرر في الأصل، يحتمل: «وكفران»، هذه صورته: «[illegible]».

(٥) في الأصل: «شيء».

عارضوا [أهلَ][1] الإسلام في أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

وما سوىٰ ذلك فدَمُ المسلمين علىٰ المسلمين حرام إلىٰ أن تقوم الساعة.

۞۞۞

ولا يُشهَد لأحدٍ[2] بحقيقة الإيمان، إلا أن تستكمل فيه خصالُ السنة وشرائع الإسلام كلُّها[3].

ولا يُشهد لأحد بجنةٍ ولا بنارٍ إلا لمن شهد لهم النبي ﷺ ونزل فيهم القرآن، وهم العشرة الذين [بشرَّهم النبي ﷺ بالجنة، والذين][4] بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة[5].

ولا يُكفَّر أحدٌ من أهل القبلة بذنب صغيرًا أو كبيرًا، ولا يُخرج عن الإسلام إلا من ردَّ علىٰ شيء من الأوامر والنواهي، وصلَّىٰ لغير الله أو ذبح لغير الله[6].

۞۞۞

---

(١) زيادة مقترحة لإقامة السياق، وعبارة البربهاري (ص٥٨): «ويحلُّ قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم...».

(٢) في الأصل: «لأحدا».

(٣) قارن بالبربهاري (ص٦١-٦٢).

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة مقترحة لإقامة السياق، ولعل نحوها سقط من الناسخ لانتقال النظر من «الذين» إلىٰ مثله.

(٥) لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨]، وقوله ﷺ: «لا يدخل النارَ - إن شاء الله - مِن أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها». رواه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشِّر.

(٦) البربهاري (ص٦٤).

ولا نُصدِّق[1] المنجمين والكهنة، لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

ولا نَنظُر في كتاب الجَمَل ولا في كتاب صِفِّين[2]، ولا في العزائم، ولا في النجوم إلا فيما يُستعان به علىٰ أوقات الصلوات.

۞۞۞

ولا تصحب أحدًا من الناس إلا من تراه ينصحك في أمر دينك ويُشفق عليك في أمر آخرتك.

۞۞۞

ولا تأمن من مكر الله فإنك لا تدري علىٰ أي شيءٍ تموت، وعلىٰ ماذا يُختَم أمرُك: علىٰ حكم السعادة أم علىٰ حكم الشقاوة؟

۞۞۞

ولا تُقنِّط من رحمة الله تعالىٰ - يعني المسرف علىٰ عصيان الله تعالىٰ -

---

(١) في الأصل: «يصدق»، وكذا «ولا ينظر» في السطر التالي.

(٢) ألَّف غير واحد كتاب الجَمَل وكتاب صفِّين، منهم: أبو مخنف لوط بن يحيىٰ (ت١٥٧) والواقدي (ت٢٠٧) ونصر بن مزاحم (ت٢١٢) وغيرهم، وعامَّتهم من المتروكين الهلكىٰ.

وقال يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي (ت٢٢٦) إمام أهل خراسان في زمانه: من نظر في كتاب صِفِّين حمله علىٰ سَبِّ الصحابة. «تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٣٢).

وفي «السنة» للخلال (٧٠٨) أن عصمة بن عصام أراد أن يكتب كتاب صفين والجمل عن خلف بن سالم - وهو من الثقات - فنهاه الإمام أحمد وقال: وما تصنع بذاك وليس فيه حلال ولا حرام؟!

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ويُحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، فإنه إنْ رَحِمه فبفضله، وإن عذَّبه فبعدله.

۞۞۞

والاجتناب واجب عن الخصومات، لقول النبي ﷺ: «**أول ما نهىٰ الله عنه بعد عبادةِ الأوثان وشرب الخمور: المِرَاءُ**[1]»[2].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ذَرُوا المراءَ، فإن الذين يمارون فَأَنَّىٰ**[3] **أشفع لهم يوم القيامة؟!**»[4].

ولقول النبي ﷺ: «**افترقت بنو إسرائيل علىٰ إحدىٰ**[5] **وسبعين فرقة**

---

(١) رسمه في الأصل: «المرئ».

(٢) أخرجه هنَّاد في «الزهد» (٢/ ٥٥٧) وأبو داود في «المراسيل» (٥٠٦) عن عروة بن رويم - من صغار التابعين - عن النبي ﷺ مرسلًا بنحوه، ولفظه: «... بعد عبادة الأوثان: شربُ الخمر ومُلاحاة الرجال».
وراوه الطبراني في «الكبير» وغيرُه مسندًا من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس معًا (٨/ ١٥٢) - ولفظ المؤلف به أشبه -، ومن حديث أبي الدرداء ومعاذ (٢٠/ ٨٣)، وحديث أم سلمة (٢٣/ ٢٥٠)، وأسانيدها واهية بمرَّة.

(٣) غير مضبوط في الأصل، أخشىٰ أن يكون أصله: «فإني لا» فسقطت «لا».

(٤) جزء من حديث طويل عند الطبراني (٨/ ١٥٢) والآجري في «الشريعة» (١١١) وابن عساكر في «التاريخ» (٣٣/ ٣٦٨، ٣٧٠) عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس، وإسناده واهٍ بمرَّة كما سبق آنفًا.

(٥) في الأصل: «أحد».

واحدة منها ناجية والباقون في النار، وانفرقت النصارىٰ علىٰ اثنتين[1] وسبعين فرقة الواحدة ناجية والباقون في النار، وستفترق أمتي علىٰ ثلاثة[2] وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقون في النار». قيل: يا رسول الله، من الواحدة الناجية؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». قيل: ومَن الذين هم في النار؟ قال: «هم أصحاب الرأي والقياس»[3].

۞۞۞

والاجتناب واجب عمَّن يقول «لِمَ» و«كيف» في صفات الله تعالىٰ، ويقف عند المتشابهات من القرآن، ولا يفسر الأحاديث المقفلة لأن مفاتيحها مع رسول الله ﷺ.

۞۞۞

وحبُّ العرب إيمان وبغضهم نفاق[4].

۞۞۞

---

(١) في الأصل: «اثنين».

(٢) كذا في الأصل، والوجه «ثلاث».

(٣) لم أجد الحديث بهذه الزيادة «قيل: ومن الذين هم في النار...» إلخ. وقد روي حديث الافتراق ضمن الحديث الطويل المشتمل علىٰ الحديثين السابقين، وفيه: «من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي: مَن لم يُمارِ في دين الله...»، والزيادة هذه تناسب إيراد المؤلف للحديث في النهي عن المراء، فلا أدري هل سقطت علىٰ الناسخ، أم لم يذكرها المؤلف أصلًا.

(٤) روي هذا حديثًا مرفوعًا عند الحاكم (٤/ ٨٧) وغيره عن أنس. إسناده واهٍ، فيه الهيثم ابن جمَّاز، متروك منكر الحديث، وبه تعقَّب الذهبي تصحيح الحاكم.
وقد استشهد به حرب في «الاعتقاد» (ص٥٦) عند الرد علىٰ «الشعوبية الذين لا يحبون العرب، ولا يقرُّون لهم بفضل... ويضمرون لهم الغلَّ والحسد والبغضة في قلوبهم».

والرؤيا حق من الله عَزَّوَجَلَّ إذا رأىٰ العبد في منامه شيئًا مما ليس بضغث وقصَّها. علىٰ من يراه[1]: يَقُصُّ علىٰ عالمٍ فيَصْدُق فيه ليفسِّرَه علىٰ أصل تأويله الصحيح. وكان الرؤيا من النبيين عليهم السلام [وحيًا][2].

وأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليس بشيء، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الرؤيا الصالحة للعبد المؤمن كلامٌ يتكلم به الرب عز وجل**»[3]. وبالله التوفيق.

۞۞۞

والإيمان بأن الله تعالىٰ يَأجُر المريضَ علىٰ مرضه، والشهيدُ أعظم ثوابًا.

۞۞۞

والإيمان بأن الصلوات الخمس واجبة علىٰ كل مؤمن ومؤمنة في كل يوم وليلة، لا زيادة فيها ولا نقصان، فمن قال: هنَّ أكثر فهو مُبتدِع، ومن قال: أقل فهو كافر.

---

(١) رسمه في الأصل: «يريه». والسياق فيه قلق، ولفظ حربٍ الكرماني (ص٥٣-٥٤) والمؤلف صادر عنه: «... فقصَّها علىٰ عالمٍ وصدق فيها، وأوَّلها العالم علىٰ أصل تأويلها الصحيح ولم يحرِّف= فالرؤيا وتأويلها حينئذٍ حقٌّ».

(٢) زيادة لازمة من «الاعتقاد» لحرب.

(٣) أخرجه حرب (ص٢٣٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٩٦) والطبراني ـ ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٨/ ٢٧٥) ـ من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: «رؤيا المؤمن كلام يُكلِّم به العبدَ ربُّه في المنام». في إسناده راوٍ مجهول، وهو في «الصحيحين» (خ٦٩٨٧، م٢٢٦٤) من طريق آخر عن عُبادة بلفظ: «رؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة».

ولا يقبل الله شيئًا منها إلا في أوقاتها المعلومة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ يعني الفجر ﴿وَصَابِرُوا﴾ يعني صلاة الظهر ﴿وَرَابِطُوا﴾ يعني صلاة العصر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني صلاة المغرب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] يعني صلاة العشاء(١).

وبأن الصلوات الخمس في الجماعة سنة مؤكدة علىٰ الرجال دون النساء، لا يجوز تركها إلا من عذرٍ، لقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] يعني: الصلوات الخمس في الجماعة(٢)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] يقول: صلوا مع المصلين في الجماعة.

۞۞۞

ولا تجوز الصلاةُ خلف المبتدعة، ولا مجالستُهم ولا مؤاكلتُهم، ولا يُعاد مريضهم ولا تُشيَّع جنائزهم، ولا يُسلَّم عليهم ولا يصلَّىٰ علىٰ موتاهم، ولا ترحُّمُهم(٣) ولا بعد مماتهم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا

---

(١) لم أجد من فسَّر الآية بهذا التفسير الإشاري الغريب المخالف لسياقها.

(٢) جاء في «فتح القريب المجيب علىٰ الترغيب والترهيب» للبدر الفيومي (٣/ ٣١٨): «ونقل الزمخشري عن مقاتل بن حيَّان أنه سأل أبا حنيفة هل تجد صلاة الجماعة في القرآن؟ قال: لا يحضرني. قال: في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء]، وقال ابن المبارك: في قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾». ولم أجد هذا النقل عن ابن المبارك في مظانّه.

(٣) في الأصل: «يرحمهم».

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] يعني: لا تبتدعوا ولا تناظروا أهلَ البدع[1]، وقولُه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا[2] مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠] يقول: حتىٰ يرجعوا عنه، يعني: عن البدعة إلىٰ السنة ومن الباطل إلىٰ الحق.

وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [النساء: ٦٤]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هم أهل البدع والأهواء، متىٰ أرادوا إظهار مذهبهم الباطل أطفأه الله بسفك دمائهم وتذليلهم، وسلَّطَ عليهم أهل السنة، فينصر الله أهل السنة عليهم بالقتل حتىٰ يفرقون[3].

وقد قال النبي ﷺ: «**لا تناظروا أهل البدع، فإنهم يَلْبِسون علىٰ المسلمين دينَهم ولا يرجعون من البدعة إلىٰ السنة**»[4]، لقوله[5] تعالىٰ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ

---

(١) تفسير مخالف للفظ الآية وسياقها.

(٢) في الأصل: «فلا تقعد»، سهو، ولعله اشتبهت عليه بآية الأنعام التي الخطابُ فيها للواحد: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [٦٨].

(٣) لم أجده عن ابن عباس، ولا ينبغي له أن يقوله! فالآية في اليهود، وما ذكره المؤلف قد يؤخذ من إشارة الآية، فأهل البدعة والأهواء لهم بعض شَبَهٍ باليهود؛ من تحريفٍ للنصوص، ونبذٍ للكتاب والسنة وراء ظهورهم، وشدة العداوة لأهل الحديث والأثر.

(٤) لم أجده عند غيره، ويغني عنه حديث عمر: «لا تجالسوا أهلَ القدر ولا تُفاتحوهم». أخرجه أحمد (٢٠٦) وأبو داود (٤٧١٠) وابن حبان (٧٩) والحاكم (١/ ٨٥) بإسناد فيه راوٍ مجهول. وفي الباب حديث عائشة المتفق عليه: «فإذا رأيتِ الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئكِ الذين سمَّىٰ الله فاحذروهم».

(٥) كذا في الأصل، والسياق يحتمل: «كقوله».

قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] يعني به: الموتىٰ لا يرجعوا إلىٰ الدنيا أبدًا [ق٢٩] من الآخرة، وكذلك لا يرجع المبتدعة الضالة عن ما هم عليه أبدًا ولو أقمتَ عليهم بأقوىٰ حجة.

۞۞۞

وإخراج الزكاة والصدقات واجبة من جميع ما وقع عليه الزكاة. وينبغي أن يُسلمها من[1] الإمام ليُفرِّقها علىٰ المستحقين، وإن بعض الروافض لا يرون ذلك وليس هو في شرائطهم[2].

۞۞۞

والإيمان بأن باب التوبة مفتوح حتىٰ تطلُعَ الشمس من المغرب لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ يعني به طلوعَ الشمس من المغرب[3]، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ يعني: أهل الشرك ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] يعني به المرتدينمن أمة محمد ﷺ[4]، ولا يقبل الله تعالىٰ حين ذلك الإيمان من الكفار.

۞۞۞

---

(١) كذا في الأصل، والسياق يقتضي: «إلىٰ».

(٢) ولعل ذلك ـ والله أعلم ـ لأن إمامهم المزعوم (المعدوم) في الغيبة، ولا يرون إمامة الولاة من أهل السنة، فلا يدفعون إليهم الزكاة، بل يرون دفعها إلىٰ الفقيه الإمامي. انظر: «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» لزين الدين العاملي (١/ ٣٥٧).

(٣) كما فسَّر به النبي ﷺ في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧).

(٤) لم أجد من فسَّر بذلك.

والإيمان بأن الدابة تخرج من بين الصفا والمروة ويكون معها خاتم سليمان بن داود عليهما السلام وعصاة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيبين حين ذلك المؤمن من الكافر وأهل الجنة من أهل النار[1]، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

والإيمان بخروج الأعور الدجال، لا شك فيه، وهو أكذب الكاذبين، فينزل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقتله ويتزوج بابنة الخليفة من ولد العباس[2]، ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ[3]، ويموت ويدفنونه المسلمون[4] في

---

(١) يشير إلىٰ حديث أبي هريرة مرفوعًا: «تخرج الدابة ومعها عصا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخاتم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتخطم أنف الكافر بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتىٰ إن أهل الخِوان ليجتمعون علىٰ خِوانهم، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر». أخرجه أحمد (٧٩٣٧) والترمذي (٣١٨٧) وابن ماجه (٤٠٦٦) والحاكم (٤/ ٤٨٥) بإسنادٍ فيه علي بن زيد بن جدعان. قال الترمذي: «هذا حديث حسن، وقد روي هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير هذا الوجه في دابة الأرض. وفيه عن أبي أمامة، وحذيفة بن أسيد». انظر لحديثهما: «نزهة الألباب في قول الترمذي وفي الباب» (٦/ ٣٤٧٠)، وليس فيهما ذكر عصا موسىٰ وخاتم سليمان. وقد جاء ذكرهما في أثرٍ رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤) عن أبي الزبير المكي مقطوعًا.

(٢) هذا غريب، وقد انتهت خلافة بني العباس من قرون!

(٣) كما في حديث جابر عند مسلم (١٥٦) بلفظ: «... ينزل عيسىٰ ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم علىٰ بعض أمراءُ تكرمةَ اللهِ هذه الأمةَ».

(٤) في الأصل: «المسلمين».

حجرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[(١)].

والإيمان بخروج يأجوج ومأجوج قبل وفاة عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

۞۞۞

والبشارات عند الموت ثلاثة، يقال: أبشر يا حبيب الله برضوان الله تعالىٰ والجنة، ويقال ذلك للمؤمنين. ويقال للمسلمين المذنبين: أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الانتقام. ويقال للكافر والفاجر: أبشِر يا عبد الله[(٢)] بسخط الله والنار[(٣)].

---

(١) كما في حديث عبد الله بن سلام موقوفًا عليه: «مكتوب في التوراة صفةُ محمدٍ وعيسىٰ ابن مريم يُدفَن معه». أخرجه الترمذي (٣٦١٧) ـ واللفظ له ـ والآجُرّي في «الشريعة» (٨٨٩). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٦٣): «هذا لا يصح عندي».

روىٰ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٥٢٢) بإسناد واهٍ عن عائشة أنها استأذنت النبي ﷺ أن تُدفن إلىٰ جنبه، فقال: «ما فيه إلا موضع قبري، وقبر أبي بكر، وقبر عمر، وقبر عيسىٰ بن مريم».

(٢) كذا في الأصل، ولعله تصحيف عن «عدوَّ الله» كما عند البربهاري (ص٨٦)، والمؤلف صادر عنه.

(٣) عزاه البربهاري إلىٰ ابن عباس، ولم أجد من رواه. وفي حديث البراء المشهور عند أحمد (١٨٥٣٤) وغيره يقال لروح المؤمن عند الموت: «أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان»، ويقال لروح الكافر: «أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب».

وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ إلىٰ آخر السورة [الواقعة: ٨٩- ٩٦]؛ ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ يعني به المؤمنين، و﴿أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ هم أهل السنة والجماعة وهم المذنبون منهم الخاطئون وعدهم الله الجنة بعد الانتقام فيعفو عنهم، و﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم أصحاب الشرك والضلالة والبدعة، ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾.

ولا تخرج روح من جسدٍ إلا ترىٰ موضعها من الجنة والنار وتقف علىٰ عملها من خيرٍ وشر. كذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**حرام علىٰ نفس تخرج من جسدها ولا ترىٰ عملها من خيرٍ وشرٍّ، وترىٰ موضعَها من الجنة والنار**»[1].

۞۞۞

وغسل الميت واجب، وكذلك الصلاة عليه. والتكبير علىٰ الجنازة أربع، والزيادة عليها بدعة، كذا الرواية عن علي كرم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلُّوا علىٰ موتاكم وكبِّروا أربعًا، فقد صلَّىٰ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ آدم وكبَّر أربعًا، فمن زاد عليها عامدًا فليس هو علىٰ ملَّة الإسلام**»[2].

۞۞۞

---

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده، ولوائح الوضع عليه ظاهرة. وأخرج الدارقطني (١٨١٢) عن ابن عباس موقوفًا عليه أنه قال: «صلَّىٰ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكبَّر عليه أربعًا، صلىٰ جبريل بالملائكة يومئذ». إسناده واهٍ، فيه راوٍ متروك كما نبَّه عليه الدارقطني.

والإيمان بأن حساب الكفار والمنافقين إلىٰ ميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويكون تَرجُمان[1] بين الله وبينهم، ولا يسمعون كلام الله لقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾[2] [آل عمران: ٧٧] يعني: نظر الرحمة[3].

۞۞۞

والإيمان بحوض النبي ﷺ. ولكل نبيٍّ حوض[4]، وحوضُ صالحٍ النبيِّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ضرعُ ناقته[5].

۞۞۞

---

(١) كذا في الأصل، والوجه: «ترجمانًا».

(٢) في الأصل: «ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم»، سهو.

(٣) قد اختُلف في وجه الجمع بين هذه الآيات وبين الآيات والأحاديث الدالّة علىٰ أن الله يكلم الكفار يوم القيامة. قال يحيىٰ بن سلّام ـ كما في «أصول السنة» لابن أبي زمنين (٥٠) ـ والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٣٠): لا يكلّمهم بما يحبون، فأما بما يسُوءهم من نحو سؤالهم توبيخًا وتقريعًا فإنه سيكلمهم. وذكر القرطبي في «تذكرة» (ص٥٦٣) أنه قيل في الجمع: لا يكلمهم الله، وإنما تحاسبهم الملائكة تمييزًا لهم بذلك عن أهل الكرامة. ولكن لم أجد من ذكر أن ميكائيل هو الذي يتولّىٰ ذلك.

(٤) كما عند الترمذي (٢٤٤٣) وغيره من حديث الحسن عن سمرة مرفوعًا: «إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهَون أيُّهم أكثرُ واردةً، وإني أرجو أن أكون أكثرَهم واردةً». أعلّه الترمذي وغيره بالإرسال، فإن غير واحدٍ رواه عن الحسن مرسلًا. وله شواهد ضعيفة قد يعتضد بها. انظر: «الصحيحة» (١٥٨٩) و«أنيس الساري» (١٣٣٠).

(٥) روي ذلك في حديث موضوع. انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٣/ ٥٤٧) و«الموضوعات» لابن الجوزي (٣/ ٥٦٤) و«الضعيفة» (٦٥٣٤). والمؤلف صادر عن البربهاري (ص٤٤).

ولا يستحق أحدٌ اسمَ السنة كلِّها إلا من كمل فيه خصال السنة لأن من لم يكن فيه خصلة من خصال السنة لا يقال له: صاحب السنة(١).

والسنة مقرونة بعضُها ببعض لا يقبل الله تعالىٰ واحدًا دون الآخر، لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يعني تؤمنون ببعض ما أمر اللهُ ورسولُه وتكفرون ببعض ما أمر الله ورسوله، ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وروي عن جعفر الصادق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: تعليم السنة أفضل من عبادة السنة صيامِ نهارها وقيامِ ليلها.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوفق الله - تعالىٰ ذكرُه - لتعليم السنة إلا من يكون صدّيقًا، ومن يرد الله به خيرًا فيغفر له ويدخله الجنة.

ورُوي عن الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: تعليم السنة أفضل من عبادة مائتي سنة(٢).

وروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان ينزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالسنن كما ينزل بالفرائض، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، وقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] يعني حفظ الأمر وترك النهي. قوله تعالىٰ:

(١) البربهاري (ص١٢٨).

(٢) أخرجه أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٨٤٣) بلفظ: «تعلُّم السنة...».

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦] يعني لا تأمر ولا تنهىٰ من حيث الرأي والقياس، فكان الخطاب للنبي ﷺ والمراد فيه لأمته. قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣] يعني استقاموا علىٰ حفظ الفرائض وأدائها وحفظ السنن واستعمالها. قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣] من ربك.

وسئل جعفر الصادق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: متىٰ تجتمع خصال السنة في العبد؟ قال: إذا صدَّق وآمن وأقرَّ بجميع خصال السنة كلها لقوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩]. فمن تمسك [ق٣٠] بالكتاب والسنة واجتماع الصحابة سَعِد ونجا، ومن اتبع الرأي والقياس شقي وهلك.

ooo

تم الاعتقاد بحمد ٱلله ومنه. وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

وفرغ من نسخه صاحبه سعيد بن موسىٰ بن أحمد بن سعيد،

وكان الفراغ منه يوم الاثنين في العشر الآخر من ذي الحجة

سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

فرحم ٱلله من قرأ فيه فدعا لصاحبه بالمغفرة والرضوان له ولوالديه ولجميع المسلمين.

آمين رب العالمين.

وحسبنا ٱلله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم